القول الموصوف في القرآن الكريم وأثره في الدعوة الإسلامية

إعداد الدكتور

رضا محمود محمد السعيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أفضل الوظائف على الإطلاق ؛ حيث إنها وظيفة الأنبياء والمرسلين ، وكذلك أصحابهم وأتباعهم إلى يوم الدين ، يقول تعالى : [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] {النحل:٣٦} ، وقال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] {الأنبياء:٢٥} .

وقول الداعية هو أحسن الأقوال وأشرفها ، يقول تعالى : [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] {فصِّلت:٣٣} .

والدعوة الإسلامية هي خاتم الدعوات والرسالات ؛ تشريفا وتعظيما وتكريما من الله تعالى للأمة الإسلامية ، ومن ثم اهتمت هذه الدعوة بهداية البشرية جمعاء إليها ، وذلك عن طريق الداعية الذي يؤمن بها ويفهمها حق الفهم ، حتى يُصبح صور ة مُجسدة لها ويدعو غيره إليها.

وقد يَستخدم هذا الداعيةُ بعض الوسائلِ والأساليبِ في دعوة الآخرين ، لكنه لا يستغني عن وسيلة القول وأسلوبه في الدعوة إلى الله تعالى ؛ حيث إنها الوسيلة الأصيلة ، التي قامت عليها كل الدعوات والرسالات .

وقولُ الداعية وخطابه متعدد ومتنوع ، منه الكلام باللسان ، والكتابة ، والإشارة وغير ذلك ، وله أساليب – أيضا – متعددة ومتنوعة ، منها اللين ، والشدة ، والبلاغة ، والتعريض ، وغير ذلك .

وتأتي هذه الدراسة لتوضح أهمية القول بأساليبه في الدعوة إلى الله تعالى ، وتوضح اهتمام القرآن الكريم به وصفاته ، وأثره في الدعوة إلى الله تعالى .

حيث إنني أهتم في هذه الدراسة بدراسة القول الموصوف (المأمور بـــه) في القرآن الكريم دراسة موضوعية دقيقة ، وآثاره الإيجابية في الدعوة إلى الله تعالى .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة مباحث .

واشتمل التمهيد على : التعريف بمصطلحات الدراسة ، وأهمية القول ، وضوابطه ، وأنواعه .

وقسمت مباحث الدراسة كما يلي :

المبحث الأول : القول المعروف والكريم وأثرهما في الدعوة

المبحث الثاني : القول البليغ وأثره في الدعوة

المبحث الثالث : القول الميسور وأثره في الدعوة

المبحث الرابع : القول اللين وأثره في الدعوة

المبحث الخامس : القول السديد وأثره في الدعوة

المبحث السادس : القول الحسن والأحسن وأثرهما في الدعوة

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل صالحا ولوجهه خالصا ، إنه نعم المـــولى ونعم النصير .

تمهيد

قبل البدء في الحديث عن موضوع الدراسة ، تجدر الإشـــارة إلى بعـــض المصطلحات العلمية المتعلقة بها ؛ حيث إن ذلك من أهم طرق فهم الدراسة واستيعاب مضمونها ، وكذلك التعرف على أهمية القول في الـــدعوة إلى الله تعالى وضوابطه وأنواعه .

أولا : مصطلحات الدراسة

ومصطلحاتُ الدراسة العلمية كثيرة ومتعددة ، وسأكتفي بإلقاء الضوء على أهمها ، وذلك على النحو التالي :

(أ) القول

القول في لغة العرب يعني الكلام ، واللفظ الذي نطق به اللسان ، وقـــد يراد به أيضا غير الكلام على سبيل المجاز والاتساع ، يقول ابن منظور رحمه الله : " القَوْل : الكلام على الترتيب ، وهو عند المحقِّق كل لفظ قـــال بـــه اللسان ، تامّاً كان أَو ناقصاً ، تقول : قال ، يقول ، قولاً ، والفاعل قائل ، والمفعول مَقُول .

قال ابن الأَثير : العرب تجعل القول عبارةً عن جميع الأَفعال ، وتطلِقـــه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بِيَده ، أَي أَخذ ، وقال برِجْله ، أَي مشى ، وقال بالماء على يدِه ، أَي قَلب ، وقال بثوب ، أَي رفَعَـــه ، وكـــل ذلك على المجاز والاتساع (١).

---

١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ١١ / ٥٧٢ ، دار صادر – بيروت – ط الأولى ، بدون .

وعلى هـــذا فكل كلمة أو إشارة تخرج من الداعية تدخل في مســـمى القول ، فإذا خرجت هذه الكلمة أو الإشـــارة وفـــق مقتضـــيات القـــول الموصوف الذي ذكره القرآن الكريم ، حققت آثارا إيجابية متعددة في الدعوة إلى الله تعالى ، وإلا فلا ، وهذا ما سأبحثه في هذا البحث بمشيئة الله تعالى .

(ب) الموصوف

الوصف " هو تَحْلِيَةُ الشَّيء . ووصَفْتُه أصِفُه وَصْفاً . والصِّفَة : الأمَـــارة اللاَّزِمةُ للشّيء ، كما يقال وَزَنتُه وَزْناً، والزِّنَة: قَدْرُ الشَّيء. يقال اتَّصَـــفَ الشَّيءُ في عَينِ النّاظر: احتَملَ أن يُوصَف " (١) .

وجاء في اللسان : " وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفةً حَلاَّه ، وقيل الوصْف المصدر والصِّفةُ الحِلْية ، وقال الليث : الوصف وصـــفك الشـــيء بحِلْيته ونَعْته ، وتواصَفُوا الشيءَ من الوصف ، واستوْصَفَه الشيءَ ســـأَله أَن يَصفه له ، واتَّصَف الشيءُ أَمكن وصْفُه " (٢) .

" والصِّفَةُ : كالعِلْمِ والجَهْل والسَّوادِ والبيَاض ، والصِّفَةُ : الحالَةُ التّـــي عَلَيْها الشَّيْءُ من حِلْيَتِه ونَعْتِه . وأمّا الوَصْفُ فقد يَكُونُ حَقّاً وباطِلاً ، يقال : لِسانُه يَصِفُ الَكذِبَ ، ومنه قَوْلُه تَعالى : ولا تَقُولُوا لِمَا تَصِـــفُ أَلْسِـــنَتُكُمُ الكَذِبَ . وهو مَجازٌ " (٣) .

---

١) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ٦ / ١١٥ ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكرالطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢) ٩ / ٣٥٦ .

٣) تاج العروس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، ٢٤ / ٤٦١ ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، بدون .

والمقصود بالموصوف في هذه الدراسة القول المنعوت الذي نعته الله عـــز وجل في القرآن الكريم.

(ت) القرآن الكريم

عرف العلماء القرآن الكريم بقولهم : " كلام الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته " (١) .

(ث) الأثر

" الأثر بقية الشيء ... والأثر : ما بقي من رسم الشيء ، والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء ، وأثَّر في الشيء : ترك فيه أثرا " (٢).

و" أثر الشيء : حصول ما يدل علي وجوده ... قال تعالي [ثُمَّ قَفَّيْنَـــا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا] {الحديد:٢٧} ، وقال تعالي [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ] {غافر:٨٢} ، وقال تعالي [فَانْظُرْ إلى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْـــفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {الرُّوم:٥٠} " (٣).

ومن ثم سأهتم في هذه الدراسة بذكر الآثار المترتبة على حســـن فهـــم

---

١) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص ١٧ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الثالثة ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م .

٢) لسان العرب ، ١/ ٧٤.

٣) المفردات ، المفردات في غريب القرآن ، أبو الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ، ص١٣ ، تحقيق : هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الأولى ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م . ويراجع : مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ص٥ ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م.

الداعية لأوصاف القول في القرآن الكريم ، والتزامه بها .

(ج) الدعوة الإسلامية

" مصطلح (الدعوة الإسلامية) يطلق ويراد به معنيان :

الأول : الدعوة الإسلامية بمعنى الدِّين الإسلامي نفسه ، والرسالة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما تضمنته مِن العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق .

الثاني : الدعوة الإسلامية بمعنى الدعوة إلى الإسلام ، أي القيام بتبليغه ونشره ، وتعريف الناس به ، وقد يُعبَّر عنها بالدعوة إلى الله تعالى ، أي إلى دينه وشرعه .

وهذا المعنى هو الأكثر شيوعا في تعريفات مَن عرَّفوا الدعوة " (١) .

وأما تعريفات العلماء الاصطلاحية للدعوة الإسلامية ، فهي على تنوعها تلحق بأحد القسمين السابقين .

فمن التعريفات الاصطلاحية للدعوة الإسلامية بمعنى الإسلام نفسه : أنها " برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين " (٢) .

ومن التعريفات الاصطلاحية للدعوة الإسلامية بمعنى نشر الإسلام

---

١) أصول الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي محمد ، ص ١٠ ، ١١ باختصار ، (بحث غير منشور)

٢) مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ١٣ ، نهضة مصر ، ط السادسة ٢٠٠٥م .

وتبليغه والدعوة إليه : " حث الناس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل " (١) ، وقيل : " نقل الأمة من محيط إلي محيط " (٢) .

وجدير بالذكر أنني أقصد في هذه الدراسة معنى التبليغ والنشر والدعوة إلى الإسلام ؛ حيث إنني أهدف من وراء هذه الدراسة التعرف على القول الموصوف في القرآن وأثره على الدعوة إلى الله تعالى .

ثانيا : أهمية القول وضوابطه وأنواعه

قبل الحديث عن القول الموصوف في القرآن الكريم وأثره في الدعوة تجدر الإشارة إلى ذكر أهمية القول في الدعوة إلى الله تعالى ؛ حيث إن القول يُعد من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى ([٣]) ، بل هو أصل الوسائل وأقدمها ، وقد كان القول وسيلة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الدعوة ،

---

١) هداية المرشدين ، الشيخ علي محفوظ ، ص ١٧، ط دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

٢) تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، ص ٣٠ ، ٣١، ط دار التراث ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

[٣]) القول وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، وكيفية القول هي الأسلوب الذي يبلغ به الداعية الدعوة إلى المدعوين ، ويمكن القول بأن مفهوم وسائل الدعوة الإسلامية عبارة عن : مجموع الوسائط والأدوات والأسباب التي يعتمد عليها الداعية في تبليغ الدعوة إلى المدعو .

والوسائل التي يعتمد عليها الداعية في العصر الحاضر كثيرة ومتعددة ، منها على سبيل المثال – لا الحصر – : وسائل قولية ، كالخطابة ، والدرس ، والحوار والمناقشة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووسائل عملية ، ووسيلة القدوة الصالحة ، والوسائل الحسية المعروفة ، مثل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة . يراجع : أصول الدعوة ، د عبد الكريم زيدان ، ص ٤٥٢ وما بعدها ، دار البيان ، ط الثالثة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

وقد اعتمد عليه الدعاة إلى الله تعالى في تبليغها على مر العصور وكر الدهور ، ومن ثم فقد اهتم العلماء ببيان أهمية هذه الوسيلة ، ووضع الضوابط لها ، وبيان أنواعها ، اعتمادا على الكتاب والسنة ، وبيان ذلك على النحو التالي :

أولا : أهمية وسيلة القول

وسيلة القول هي أصل الوسائل الدعوية على الإطلاق ، وقد أكد ذلك غير واحد من الباحثين ، يقول د عبد الكريم زيدان – رحمه الله – : " القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله ، فالقرآن – وفيه معاني الدعوة إلى الله – هو قول رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون به التبليغ ، قال تبارك وتعالى : [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ] {التوبة:٦} ، وكان تبليغ رسول الله لرسالة ربه للناس بالقول ، قال تعالى مخاطبا رسوله وآمرا له أن يقول للناس : [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ] {يونس:١٠٨} ، [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا] {الأعراف:١٥٨} ، وكذلك أمر الله رسله أجمعين بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين ، قال تعالى : [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] {الأعراف:٥٩} ، [وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ] {الأعراف:١٠٤} ، فلا يجوز للداعي أن يُغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة ، ولا أثر الكلمة الطيبة في النفوس .

فالقول إذن هو الوسيلة الأصيلة في إيصال الحق للناس " (١) .

١) أصول الدعوة ، د عبد الكريم زيدان ، ص ٤٥٢ ،

وعن أهمية وسيلة القول يقول د البيانوني : " تبرز أهمية وسيلة القول من عدة وجوه ، منها :

أ – من حيث إنها وسيلة فطرية متوفرة لدى جميع الناس إلا من شذ منهم بسبب خَرَس أو نحوه ...

ب _ اهتمام القرآن الكريم بها ، فقد ورد لفظ (قل) في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمئة آية ، كما جاءت مشتقاته وتصريفاته في القرآن في أكثر من ألفي آية ...

جـ – استخدام جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لها ، فما من رسول إلا وقد قال لقومه شيئا وبَيَّن لهم ، قال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] {إبراهيم:٤} .

وقال : [وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ] {آل عمران:١٨٧} .

وقال عن عدد من الرسل الكرام : [فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] {الأعراف:٥٩} .

د – كثرة أقواله صلى الله عليه وسلم التي جمعت في كتب السنة ، والتي تمثل السنة القولية الشريفة " ([1]) .

ومما سبق تظهر أهمية تلك الوسيلة ، وأنه لا يستغني عنها داعية ، وأنها الوسيلة الأهم والأصل التي اعتمد عليها الأنبياء وأتباعهم في تبليغ الدعوة .

---

١) المدخل إلى علم الدعوة ، د محمد أبو الفتح البيانوني ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

ثانيا : ضوابط وسيلة القول

كان من اهتمام العلماء بهذه الوسيلة أن وضعوا لها ضوابط عامة ، استقوها من القرآن والسنة والتجارب الدعوية ، ويمكن ذكرها كما يلي :

(أ) يجب أن يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام، مفهوماً عند السامع ؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحاً غاية الوضوح، ولهذا أرسل الله رسله بألسنة أقوامهم حتى يفهموا ما يدعونهم إليه ويستطيعون بيانه إليهم قال تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] {إبراهيم:٤} . وجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين، قال تعالى: [وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] {النور:٥٤} ، ومقياس الوضوح ليس نفس الداعي وفهمه فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة له غامضاً بالنسبة إليهم . وكذلك ليس المقياس وضوح القول بذاته فقد يكون الكلام واضحاً بنفسه ولكنه غير واضح بالنسبة إليهم. فالمقياس إذن هو أن يكون واضحاً عندهم وهذا هو الذي يشير اليه قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] {إبراهيم:٤} فالبيان لهم، لا للداعي ولا للكلام بذاته . وفي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً أي بيناً ظاهراً يفهمه كل من يسمعه " (١) .

---

١) أصول الدعوة ، ص ٤٥٣ . ونص الحديث : عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ كَلاَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصْلاً يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ ، لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُهُ سَرْدًا . أحمد في المسند ، ٤١ /

(ب) " ويجب أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً وخطأ وصواباً ، وعلى الداعي أن يحرص على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين ؛ لأن هذه الألفاظ تكون مُحددة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطل قد يعلق في ذهن المدعو ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة هذا النهج في الكلام قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ] {البقرة:١٠٤} . لأن في كلمة (راعنا) في لسان اليهود معنى باطلاً كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة ، فأمر الله المسلمين أن يتركوها ويستعملوا كلمة انظرنا بدلاً منها ؛ حتى لا يتحجج اليهود فيستعملوا كلمة راعنا يريدون بها الشتيمة والتنقيص ، وإذا اضطر الداعي إلى استعمال بعض الألفاظ المستحدثة ، فعليه أن يبين مقصوده منها حتى لا يتبادر إلى الأذهان المعاني الباطلة التي تحملها هذه الألفاظ أو التي يفهمها

---

٥٢٠ ، رقم ٢٥٠٧٧ . وقد أكد شراح الأحاديث النبوية هذا المعنى في شرح الحديث السابق ؛ حيث قال الإمام الصنعاني رحمه الله في شرح قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : كَانَ كَلاَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصْلاً يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ ، لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُهُ سَرْدًا . أي : " فاصلاً بين الحق والباطل، والأظهر أن المراد [أنه] بَيِّن المعنى ، ظاهر الألفاظ ، لا يلتبس على أحد ؛ بل يفهمه كل من سمعه ؛ لظهور حروفه وكلماته وإيضاحه وبيانه " . التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) ، ٨ / ٢٩٣ ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

الناس منها " ([1]) .

(ت) أن يكون القول مشروعا صادقا ، قال تعالى : [وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ] {النحل:١١٦} . وقال : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] {الأحزاب:٧٠} . وقال : [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] {الأعراف:٣٣} ([2]) .

(ث) أن يكون القول موافقا للواقع ؛ حيث إنه لا يجوز للداعية أن يكون قوله بعيدا عن واقع الناس وحياتهم المعيشية . ولا يكون قول الداعية موافقا للواقع إلا بعد أن يتعرف على واقع الناس ومعرفة مشكلاتهم المعاشية ، ودراسة كل ما يتعلق بواقع الناس وكيفية إصلاحه .

ثالثا : الضوابط العامة للقائل

لا تستطيع وسيلة القول – برغم توفر ضوابطها – أن تنجح في تبليغ الدعوة إلا بعد أن تتوفر ضوابط عامة في القائل – الداعية – ومن ثم اهتم العلماء بوضع ضوابط محددة للقائل – الداعية – حتى تنجح هذه الوسيلة في تبليغ الدعوة .

---

١) أصول الدعوة ، ٤٥٣ .

٢) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

وفيما يلي ذكر هذه الضوابط :

(١) يجب أن يتأنى الداعي في الكلام فلا يُسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه ([1]) .

وقد استنبط العلماء هذا الضابط من حديث أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ([2]) .

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بجملة مفيدة أعادها ثلاثا حتى تُعقل عنه ([3]) .

(٢) وعلى الداعي أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في نطقه ([4]) .

وقد استنبط العلماء هذا الضابط من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – : أنّ النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – ، قَالَ : ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)) قالها ثَلاثاً " ([5]) . و"المتنطع : المتعمق في الكلام الغالي ، ويكون الذي يتكلم

---

١) أصول الدعوة ، ص ٤٥٤ .

٢) صحيح البخاري ، ك العلم ، ب من أعاد الحديث ثلاثا ليُفهم عنه ، ١ / ٣٠ ، رقم ٩٥ ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ .

٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، ١ / ١٨٩ ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩ هـ .

٤) أصول الدعوة ، ص ٤٥٤ .

٥) صحيح مسلم ، ك العلم ، ب هلك المتنطعون ، ٤ / ٢٠٥٥ ، رقم ٢٦٧٠ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، وأحمد في المسند ، ٦ / ١٦٧ ، رقم ٣٦٥٥ ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م

بأقصى حلقه مأخوذ من النطع" (١) .

وقيل : " أَيْ الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُود فِي أَقْوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ " (٢) .

وهذا الضابط أيضا مستنبط من قوله صلى الله عليه وسلم : " وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ ، الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ " (٣) . والثرثار : المكثار في الكلام ، يقال : عين ثرثارة ، إذا كانت واسعة الماء ، وأراد به الذين يكثرون الكلام تكلفا. والمتفيهق : الذي يتوسع في كلامه ، ويفهق به فمه ، أي : يفتحه مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء ، يقال : أفهقت الإناء ففهق ، وبئر مفهاق كثيرة الماء " (٤) .

(٣)" أن يبتعد الداعي عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره وتحديه

---

١) شرح السنة ، الإمام الحسين بن مسعود البغوي ، ١٢ / ٣٦٧ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق ــ بيروت ــ ط الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ١٦ / ٢٢٠ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الثانية ، ١٣٩٢هـ .

٣) الترمذي ، ك البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ب ما جاء في معالي الأخلاق ، ٣ / ٥٤٥ ، رقم ٢٠١٨ ، وقال : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٨ م ، صحيح ابن حبان ، ب حسن الخلق ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا ، ٢ ، ٢٣١ ، رقم ٤٨٢ ، : تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

٤) شرح السنة ، ١٢ / ٣٦٧ .

وإظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يُكلمه بروح الناصح الشفيق المُخلص المتواضع الذي يدل غيره على ما ينفعه ويعرفه به، على الداعي أن يكلمه كمبلغ له معاني رسالة الله لا أن يكلمه كمبلغ له فضله وعلمه . إن ملاحظة هذه الأمور ضرورية جداً للداعي وإذا لم يراعها انقطع ما بين قوله وبين قلب المدعو فلا يتأثر بشيء مما يسمع بل وينفر المدعو ولا يطيق سماع قول الداعي وإن كان حقاً " (١) .

(٤) " وعلى الداعي أن يتلطف بالقول، فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعو إلى السماع ويقمع فيه نوازع الجهل والنفور " (٢) .

(٥) أن يطابق القول العمل ولا يخالفه ، قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] {الصَّف:٣} . وقال : [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ] {البقرة:٩} . وقال : [وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ] {هود:٨٨} . " (٣) .

رابعا : أنواع القول

تتعدد أنواع القول باعتباره وسيلة لتبليغ الدعوة ، وهي كما يلي :

(١) الخُطْبة (٤) وهي : " الكلام المنثور ، يخاطب به متكلم فصيح جمعا من

١) أصول الدعوة ، ص ٤٥٤ .

٢) السابق ، ص ٤٥٤ .

٣) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٣١٣ .

٤) أصول الدعوة ، ص ٤٥٦ . ويراجع : المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٣٠٩ .

الناس لإقناعهم " (١) . وقيل : أَنَّ الخُطْبَة عندَ العَرَب : الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّع (٢) .

(٢) الدَّرس (٣) : ويطلق " على ما يلقيه الخطيب الداعية على جمهور المسجد من موضوعات تعليمية ، ووعظية ، وتربوية ، عقب الصلوات المفروضة ، على مدار الأسبوع ، وفق نظام معين " (٤) .

(٣) المُحاضرة (٥) : يقال : " حاضر القوم ، جالسهم وحادثهم بما يحضره ، ومنه فلان حسن المحاضرة ، وألقى عليهم محاضرة " (٦) .

(٤) " المناقشة والجدل : المناقشة والجدل يكونان بين شخصين أو أكثر يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور. والداعي عندما يدعو غيره إلى الله قد لا يقبل المدعو دعوته فيقبل على جدال الداعي ومناقشته " (٧) .

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : " والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غالباً ما يكون بالقول ، كما أنه قد يكون بدعوة غير المسلم إلى

---

١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ، ١ / ٢٤٣ ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة .

٢) لسان العرب ، ١ / ٣٦٠ .

٣) أصول الدعوة ، ٤٥٨ . ويراجع : المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٣٠٩ .

٤ الخطابة في موكب الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي محمد ، ص ١٩١ ، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط الثانية ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

٥) السابق ، ص ٤٥٩ . ويراجع : المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٣٠٩ .

٦) المعجم الوسيط ، ص ١٨١ .

٧) أصول الدعوة ، ٤٦٠ .

الإسلام ، أو بدعوة المسلم العاصي إلى طاعة الله سبحانه وتعالى والإقلاع عن مخالفة شرعه ، كما أن هذا الأمر والنهي بأنواعه قد يكون موجهاً إلى شخص بعينه ، أو إلى عدة أشخاص ، أو إلى طائفة من الناس ، أو بشكل دعوة عامة إلى الناس لاتباع ما جاء به الإسلام وترك ما يخالفه " ([1]) .

(٦) الكتابة : " وهي من أنواع القول في الدعوة إلى الله ، والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم إلى الإسلام ونبذ ما يخالفه ، وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها ، وكلها وسيلة جيدة للدعوة إلى الله . وتأليف الكتب في معاني الإسلام وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل ، من الوسائل المفيدة جداً في الدعوة إلى الله لا سيما إذا ترجمت إلى لغات من يراد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه فيمكن بهذه الوسيلة تبليغ الإسلام إلى ملايين الناس الذين لا يعرفون اللغة العربية ولم تصلهم معاني الإسلام . ويلاحظ في كتابة الرسائل والأبحاث والكتب أنها توجه إلى العموم يقرؤها كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم في العلم والفهم فيجب على الداعي أن يكتبها بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب وأن تكون المعاني التي يبينها مما لا يسع أي إنسان يريد الإسلام أن يجهلها . وأن تكون خالية من ذكر المسائل الدقيقة والخلافية وان تكون مختصرة دون إخلال بالمعنى ومقتضيات

---

١) السابق ، ص ٤٦١ .

التفهيم " ([1]) .

وبالحديث عن أنواع القول ينتهي الحديث عن مصطلحات الدراسة وأهمية القول وضوابطه وأنواعه ، وسأتحدث في المباحث اللاحقة – بمشيئة الله تعالى – عن القول الموصوف (المأمور به) في القرآن الكريم وأثره في الدعوة .

١) أصول الدعوة ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

المبحث الأول :
القول المعروف والكريم وأثرهما في الدعوة

اهتم القرآن الكريم بالقول المعروف والكريم اهتماما بالغا ، حيث ذُكر القول المعروف في مواطن متعددة ، وقد تعددت معانيه بتعدد المواطن التي ذكر فيها ، وذُكر أيضا القول الكريم وأُمر به وسأقوم في هذا المبحث – بمشيئة الله تعالى – ببيان معانى القول المعروف والكريم في القرآن الكريم وأثرهما في الدعوة ، وبيان ذلك على النحو التالي :

أولا : التعريض

التعريض (١) من المعاني التي وصف بها القرآن الكريم القول بالمعروف ؛ حيث إنه تحدث عن هذا المعنى – التعريض – في التعامل مع النساء في حالة خاصة ، قال تعالى : [وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ] {البقرة:٢٣٥} .

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – : " وقوله : (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) استثناء من المفعول المطلق ، أي إلا وعداً معروفاً ؛ وهو التعريض الذي سبق في قوله : (فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ) ، فإن القول المعروف من

---

١) " التعريض في الكلام : ما يَفهم السامعُ مراده بغير تصريح " . التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، ص ١٨٥ ، تحقيق : د محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت – الأولى ، ١٤١٠هـ .

أنواع الوعد إلا أنه غير صريح ، وإذا كان النهي عن المواعدة سراً ، عُلم النهي عن المواعدة جهراً بالأولى ، والاستثناء على هذا في قوله : (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) متصل ، والقول المعروف هو المأذون فيه ، وهو التعريض ، فهو تأكيد لقوله : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ) " (١) .

والتعريض في هذه الحالة – على نحو ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما – " أَنْ يَقُول إِنِّي أُرِيد التَّزْوِيج ، إِنِّي أُحِبّ اِمْرَأَة مِنْ أَمْرهَا ، وَمِنْ أَمْرهَا يُعَرِّض لَهَا بِالْقَوْلِ بِالْمَعْرُوفِ ، وفي رواية : وَوَدِدْت أَنَّ اللَّه رَزَقَنِي اِمْرَأَة ، وَنَحْو هَذَا ، وَلَا يَنْتَصِب لِلْخِطْبَةِ ، وَفِي رِوَايَة : إِنِّي لَا أُرِيد أَنْ أَتَزَوَّج غَيْرك إِنْ شَاءَ اللَّه ، وَلَوَدِدْت أَنِّي وَجَدْت اِمْرَأَة صَالِحَة ، وَلَا يَنْتَصِب لَهَا مَا دَامَتْ فِي عِدَّتهَا " (٢) .

أثر التعريض في الدعوة :

يعتمد الداعية على أسلوبين مختلفين في تبليغ الدعوة للمدعو ، وهما : الأسلوب الصريح المباشر ، والأسلوب الغير مباشر ، والذي يطلق عليه التعريض .

أما الأسلوب المباشر " فيكون بمواجهة من يراد دعوتهم وتذكيرهم ، أو إصلاحهم وحمايتهم بالمقصود الرئيسي مباشرة ، دون أي توريه ، أو

---

١) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، ٢ / ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، الدار التونسية للنشر – تونس – ط الأولى ١٩٨٤م .

٢) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، ٢ / ٣٨٣ ، المحقق : مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجماوي ، علي أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث – الجيزة – ط الأولى ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

استخفاء ، أو تستر بأفكار وحيل كلامية تدل بما فيها من تشبيه ، أو مجاز ، أو لوازم فكرية ، أو إشارات ، أو معاريض ، أو أمثلة يقاس عليها ، أو غير ذلك على المقصود الرئيسي " ([1]) .

وأما الأسلوب الغير مباشر " فيكون بهداية من يُراد دعوتهم وتذكيرهم ، أو يُراد إصلاحهم وحمايتهم بوسائل غير صريحة ، إذ لا يبدو في ظاهرها المقصود الرئيسي ، وإنما يأتي متواريا ، مستخفيا متسترا بأفكار وحيل كلامية ، أو حكايات أو أعمال ، تدل بما فيها من تشبيه ، أو لوازم فكرية ، أو إشارات ، أو معاريض ، أو أمثال يقاس عليها ، على المقصود الرئيسي ، أو يستفاد منها الدلالة على المقصود بالتوجيه له .

كالكنايات ، ومعاريض الأقوال (إياك أعني واسمعي يا جارة) ورواية القصص ، أو التوجيه لقراءتها ، أو عرض مشاهدها بالتمثيل إن أمكن دون ارتكاب معصية ، والقدوة الحسنة المثيرة للإعجاب ، والغمس في البيئة الصالحة ، والصحبة والرفقة ، وحديث المتكلم عن نفسه ، أو حديثه عن الغائب ، والبث العرضي ، وإدخال الفكرة المقصودة في ثنايا أفكار أخرى تبدو أنها هي المقصودة بالذات ، لا ما جاء مندسا فيها، أو مقترنا بها " ([2]).

ومن ثم فعلى الداعية " أن يكون خبيرا بالنفوس الإنسانية ، وأن يستخدم الطريق المباشر إذا كان هو الطريق الأجدى والأصلح لتحقيق المقصود ، وأن

---

[1]) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ١ / ٤٢٩ وما بعدها باختصار ، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

[2]) السابق ، ١ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

يستخدم الطريق غير المباشر على اختلاف سُبله ، مختارا منها ما يراه أكثر نفعا ، وأوصل إلى تحقيق المقصود ، دون أن تصده عقبات نفسية ، رجاء أن يكون أداؤه لرسالته ذا تأثير كبير ونفع عظيم " ([1]).

وقد يحتاج الداعية إلى التعريض في بعض الأوقات – التي تضطره إلى ذلك – وفي ذلك يقول الشيخ علي محفوظ – رحمه الله – وهو يتحدث عن آداب الداعي مع السامع : " وهي كثيرة ، من أهمها ، وهو من دقائق هذه الصناعة ، أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بتلويح في المقال ، وتعريض في الخطاب ما أمكن ، فالتعريض في ذلك أبلغ من التصريح ، فإن التأمل فيه إذا أداه إلى الشعور بالمقصود منه كان أوقع في النفس ، وأعظم تأثيرا في قلبه ، وأدعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ ، وأيضا التعريض لا تنتهك به سُجف الهيبة ، ولا يرتفع معه ستر الحشمة ، أما صريح التوبيخ والتقريع الشديد العنيف ، فقد يورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار والبقاء على ما لِيمَ عليه لاسيما النفوس المنطوية على الكبر .

ألا ترى قوله تعالى في شأن ذلك الرجل الغيور على دين الله والدعاة إليه : [وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ] {يس: ٢٠} ، [اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ] {يس: ٢١} ، لما سمع بخبر رسل عيسى عليه السلام ، وإنكار القوم لهم حضر مسرعا ودعاهم إلى اتباع هؤلاء الرسل برفق ولين ؛ تأليفا لقلوبهم ، واستمالة لها نحو قبول النصيحة ، ووصف المرسلين بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض

[1]) نفس المصدر ، ١ / ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

الدنيوي ، والاهتداء إلى خير الدين والدنيا ، ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه ، وهو يريد مناصحة قومه ، فقال : [وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] {يس:٢٢} ، أي مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني ، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ، كما ينبئ عنه قوله : وإليه ترجعون . مبالغة في التهديد على وجه لطيف ، ثم عاد إلى المساق الأول لقصد التأكيد ، وزيادة الإيضاح فقال : [أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ] {يس:٢٣} [إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] {يس:٢٤} ، فوجه الإنكار إلى نفسه وهو يريدهم به ، أي لا أتخذ من دون الله آلهة وأعبدها ، وأترك عبادة من يستحق العبادة ، وهو الذي فطرني ، مبينا حال هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله سبحانه إنكارا عليهم ، وبيانا لضلال عقولهم ، وقصور إدراكهم ، لأني إذا فعلت ذلك أكون ساقطا في وهدة الضلال الذي لا شك فيه ، فإن إشراك ما ليس من شأنه النفع ، ولا دفع الضر ، بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ، ولا خير إلا خيره ضلال واضح ، وخسران مبين ، وهذا تعريض بهم .

هذا سبيل الحكمة فاسلكه والله تعالى الموفق للصواب " (١) .

وإذا لم يُحسن الداعية فقه التعريض أضر بالدعوة من حيث أراد نفعها ، وإذا التزم الصريح من القول في كل الحالات أضر بالدعوة أيضا ، وذلك مثل :

---

١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، الشيخ علي محفوظ ، ص ١١٧ ، ١١٨ ، دار الاعتصام – القاهرة – ط التاسعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

- أن يقول لمن يدعوه إلى الإيمان بالله وإلى الدخول في الإسلام : أنت كافر مجرم ضال مُضل ملعون مطرود من رحمة الله ، في الدنيا والآخرة ، وستظل كذلك ، إذا لم تؤمن ، ولم تدخل في الإسلام ، ولم تهتم بالتزام الصراط المستقيم .
- أن يقول لمن يعلم عنه أنه من مرتكبي الكبائر في نُصحك له : أنت زانٍ ، أنت لص ، أنت مجرم ، أنت ضال مُضل ، فاتق الله واهجر ما أنت فيه ، وإلا أنزل الله بك عقابا أليما .

إن مثل هذا التوجيه مخالف لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في نُصحه وإرشاده ، وأمره ونهيه ، فلقد كان من أدبه الرفيع إذا ساءه من بعض القوم معاص ارتكبوها أن يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ، ولا يواجه من أذنب بإعلان ذنبه ، لئلا يُحرجه ، فيُنَفِّره ، بل يستره ، ويتحدث عن عُصاة ما بشكل عام ، دون أن يَفضح المذنب أو المذنبين بأعيانهم .

- أن يقول مثلا لمن في جسمه عيب خِلْقي ، وهو يريد أن ينصحه بأن يستر عيبه ، بالكرم ، وحسن الخلق ، والاستقامة في سلوكه الخاص ، وفي تعامله مع الناس : أنت أعمى ، أنت أعور ، أنت أكتع ، أنت أعرج ، أنت قبيح المنظر ، فاستر عيبك بكرمك ، وحسن خلقك ، واستقامتك في سلوكك .
- أن يتخذ أسلوب الأمر والنهي دوما ، دون أن يُغلِّفه بمقدمات عامات ، ونصائح غير مباشرة ، تُحضِّر النفوس بها لتقبُّل الأمر والنهي بقبول

حسن " ([1]) .

وقد استخدم سيدُ الدعاة أسلوب التعريض في القول مرات عديدة ، ومن ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – كان إذا لم يعجبه فعل أحد من الصحابة ، أنكر عليه بالتعريض دون التصريح ، فقد كان يقول : ما بال قوم يفعلون كذا وكذا ، وهناك روايات عديدة وردت في كتب السنة المعتمدة تؤكد ذلك ، أكتفي بذكر واحدة منها هنا : " قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً " ([2]) .

ويظهر من خلال هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم منهج التعريض في النصح والتعليم بدلا من التصريح ؛ لما يترتب على التصريح في مثل هذه المواقف من الآثار السلبية الكثيرة على المدعو .

واستخدام الداعية أسلوب التعريض في الدعوة يحقق آثارا إيجابية كثيرة ، ومنها :

(١) الحفاظ على مكانة المدعو : فقد يكون المقصود بتوجيه الكلام ذا مكانة رفيعة في قومه ، فهو يكره أن يوجه له الكلام ذو الدلالة المباشرة ، في تعليمه ، أو دعوته إلى الحق والخير ، أو نصحه وإرشاده

---

[1]) فقه الدعوة إلى الله ، ١ / ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

٢) صحيح البخاري ، ك الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ ، ٦ / ٢٦٦٢ ، رقم ٦٨٧١ .

، أو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فالأرجى لاستجابته أن يُستخدم لهدايته أو إصلاحه وحمايته البيان الكلامي في المباشر .

(٢) سرعة استجابة المدعو : فقد يكون المقصود بتوجيه الكلام من ذوي النفوس المصابة بداء الاستكبار والاستنكاف عن تقبل التعليم والدعوة المباشرة ، والنصح والإرشاد والأمر والنهي ، فالأرجى لاستجابته أن يُستخدم معه البيان الكلامي غير المباشر لعله ينتفع بما يستنبطه هو بنفسه من لوازمه ، ودلالاته البعيدة .

(٣) إظهار احترام الداعية للمدعو : فمن آثار التعريض في القول إظهار الاحتفاء بذكاء من يُوجه له الكلام ، أو بارتفاع منزلته الاجتماعية ، والإشعار بأنه من الذين تكفيهم إشارات الكلام ، وكناياته ، ورموزه البعيدة ، وبأنه لا يحتاج إلى كلام ذي دلالة مباشرة .

(٤) إرضاء الحس الأدبي لدى من يوجه له الكلام : إذ هو من الذين يستمتعون بالكلام الأدبي الرفيع الذي له دلالات رائعات غير مباشرات ، ويحلو في نفوسهم ويستعذبون أن يخاطبوا به ، ولا يكترثون للكلام ذي الدلالات المباشرات التي لا تحمل مقاصد ذوات دلالات غير مباشرات .

(٥) الحفاظ على أسرار الدعوة : فقد يكون التعريض في القول فيه إخفاء المراد عن جمهور المستمعين ، وإشعار المخاطب وحده بالمراد عن طريق الرمز ، لأغراض سياسية ، أو عسكرية ، أو تربوية ، أو غيرها .

(٦) ومن آثار التعريض في القول أيضا :

- التوصل عن طريق اللوازم العقلية إلى معان قد لا يكون لها ألفاظ تدل عليها دلالة مباشرة .
- تزيين الكلام ليكون أكثر تأثيرا في نفوس المخاطبين .
- قد يكون الأسلوب غير المباشر مقربا للفكرة الغامضة، أو مقدمة لها مقترنة بحجتها المقنعة بها .
- التهرب من إرادة المعنى عند الإحراج ، وذلك إذا كانت إرادته تسوء المخاطب به ، أو تسوء غيره من أنداده أو حُسَّاده أو غيرهم

وفي كثير من الأحوال يكون خطاب الناس بالبيان الكلامي غير المباشر هو الأجدى أثرا ، والأكثر نفعا ، لأنه أوقع في نفوسهم ، وأكثر إرضاءً لغرورهم ، أو أوفق لظروف الحال التي يكونون عليها ([1]) .

- احترام فكر المخاطب وتقديره بترك استخدام الأسلوب المباشر ، وهذا من فقه الداعية وبلاغته في الأسلوب ، فقد " يكون من عناصر الجمال الأدبي في الكلام احترام فكر المخاطب وتقديره بترك استخدام الأسلوب المباشر ، اعتمادا على أنه لّاح تكفيه الإشارة الخفيفة والخفية ، أو بترك الإطناب والشرح ، واللجوء إلى الإيجاز والرمزية .

ولا ريب أن من احترام فكر المخاطب وتقديره الإيجاز له في الأشياء التي يمكن أن يفهمها بنفسه ، إذا كان أهلا لذلك ، ويحسن هذا الإيجاز جدا إلى حد الرمز في مواقف خاصة ، منها أن يتطلب الموقف إعلام المخاطب

[1]) فقه الدعوة إلى الله ، ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ بتصرف .

وحده ، مع إخفاء الأمر عن حاضري مجلسه " ([1]).

ومما سبق يظهر أن التعريض في خطاب الداعية يترتب عليه آثار إيجابية متعددة كثيرة في ميدان الدعوة إلى الله تعالى .

ثانيا : الكلمة الطيبة

وصف القرآن الكريم القول المعروف في موضع آخر بالكلمة الطيبة ، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : [قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ] {البقرة:٢٦٣}.

والمقصود بالقول المعروف هنا – على نحو ما ذكره ابن كثير رحمه الله – " كَلِمَة طَيِّبَة وَدُعَاء لِمُسْلِمٍ " ([2]) .

يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله في هذه الآية : " والمعروف هو الذي يعرفه الناس ، أي لا ينكرونه . فالمراد به القول الحسن وهو ضدّ الأذى " (٣) .

يقول الإمام الألوسي – رحمه الله – : " { قَوْلٌ مَعْرُوفٌ } ، أي كلام جميل يَرد به السائل ، مثل : يرحمك الله ، يرزقك الله ، إن شاء الله تعالى

---

[1]) مبادئ في الأدب والدعوة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١٤٧ ، دار القلم – دمشق – ط الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٢) تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٤٦١ .

٣) التحرير والتنوير ، ٣ / ٤٧ . وبهذا المعنى قال الفخر الرازي – رحمه الله . مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، ١ / ١٠١٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بدون .

أعطيك بعد هذا " (١) .

وأتى هذا المعنى أيضا في قوله تعالى : [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا] النساء:٥ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " وَهَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة تَضَمَّنَتْ الْإِحْسَان إِلَى الْعَائِلَة وَمَنْ تَحْت الْحَجْر بِالْفِعْلِ مِنْ الْإِنْفَاق فِي الْكَسَاوِي وَالْأَرْزَاق بِالْكَلَامِ الطَّيِّب وَتَحْسِين الْأَخْلَاق " (٢) .

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ٣ / ٤٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون .

٢) تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٣٥٢ . يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله : " وإنّما قال : (وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) ؛ ليسلم إعطاؤهم النفقة والكسوة من الأذى ، فإنّ شأن من يُخرج المال من يده أن يستثقل سائل المال ، وذلك سواء في العطايا التي من مال المعطي ، والتي من مال المعطَى ، ولأنّ جانب السفيه ملموز بالهون ، لقلّة تدبيره ، فلعلّ ذلك يحمل وليّه على القلق من معاشرة اليتيم فيُسمعه ما يكره مع أنّ نقصان عقله خلل في الخِلقة ، فلا ينبغي أن يُشتم عليه ، ولأنّ السفيه غالباً يستنكر منعَ ما يطلبُه من واسع المطالب ، فقد يظهر عليه ، أو يصدر منه كلمات مكروهة لوليّه ، فأمر الله لأجل ذلك كلّه الأولياء بأن لا يبتدئوا محاجيرهم بسَيّيء الكلام ، ولا يجيبوهم بما يسوء ، بل يعظون المحاجير ، ويعلّموهم طرق الرشاد ما استطاعوا ، ويذكّروهم بأنّ المال مالهم ، وحفظه حفظ لمصالحهم ، فإنّ في ذلك خيراً كثيراً ، وهو بقاء الكرامة بين الأولياء ومواليهم ، ورجاء انتفاع الموالي بتلك المواعظ في إصلاح حالهم .

وقد شمل القَولُ المعروف كلّ قول له موقع في حال مقاله ، وخرج عنه كلّ قول منكر لا يشهد العقل ولا الخُلُق بمصادفته المحزّ ، فالمعروف قد يكون مما يكرهه السفيه إذا كان فيه صلاح نفسه " . التحرير والتنوير ، ٤ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

كما جاء هذا المعنى في قوله تعالى : [وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا] النساء:٨ .

والمراد : " أَنَّهُ إِذَا حَضَرَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاء مِنْ الْقَرَابَة الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين قِسْمَة مَال جزيل ، فَإِنَّ أَنْفُسهمْ تَتُوق إِلَى شَيْء مِنْهُ ، إِذَا رَأَوْا هَذَا يَأْخُذ وَهَذَا يَأْخُذ ، وَهُمْ يَائِسُونَ لَا شَيْء يُعْطُونَهُ ، فَأَمَرَ اللَّه تَعَالَى وَهُوَ الرَّءُوف الرَّحِيم أَنْ يُرْضَخ لَهُمْ شَيْء مِنْ الْوَسَط يَكُون بِرًّا بِهِمْ وَصَدَقَة عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَجَبْرًا لِكَسْرِهِمْ " (١) .

" والأمر بأن يقولوا لهم قولاً معروفاً أي قولاً حسناً ، وهو ضدّ المنكر ، تسلية لبعضهم على مَا حرموا منه من مال الميّت كما كانوا في الجاهلية " (٢)

وجاء هذا المعنى أيضا في قوله تعالى : [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا] الأحزاب:٣٢ .

يقول ابن كثير رحمه الله : " وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا " . قَالَ اِبْن زَيْد : قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا مَعْرُوفًا فِي الْخَيْر ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهَا تُخَاطِب الْأَجَانِب بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ تَرْخِيم أَيْ لَا تُخَاطِب الْمَرْأَة الْأَجَانِب كَمَا تُخَاطِب زَوْجهَا " (٣) .

" ويشمل القول المعروف – هنا – : هيئة الكلام ، وهي التي سيق لها المقام ، ويشمل مدلولاته أن لا ينتهرن من يُكلمهن أو يُسمعنه قولاً بذيئاً من

---

١) تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٣٦٣ .

٢) التحرير والتنوير ، ٤ / ٢٥٢ .

٣) تفسير القرآن العظيم ، ١١ / ١٥٠ .

باب " (١) .

وقد جاء هذا المعنى – الكلمة الطيبة – في معرض الحديث عن حقوق الوالدين على أبنائهما ، والمقصود بالكريم هنا : الكلمة الطيبة ، والقول اللين ، يقول الله تعالى :[وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا] الإسراء:٢٣ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " . أَيْ لَيِّنًا طَيِّبًا حَسَنًا بِتَأَدُّبٍ وَتَوْقِير وَتَعْظِيم " (٢) .

وقال الفخر الرازي – رحمه الله – : " قوله تعالى : {وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا} . واعلم أنه تعالى لما منع الإنسان بالآية المتقدمة عن ذكر القول المؤذي الموحش . والنهي عن القول المؤذي لا يكون أمراً بالقول الطيب ، لا جرم أردفه بأن أمره بالقول الحسن والكلام الطيب ، فقال : {وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا} . والمراد منه أن يخاطبه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هو أن يقول له : يا أبتاه يا أماه ، وسُئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم ، فقال : هو قول العبد المذنب للسيد الفظ ، وعن عطاء أن يقال : هو أن تتكلم معه بشرط أن لا ترفع عليهما صوتك ولا تشد إليهما نظرك ، وذلك لأن هذين الفعلين ينافيان القول الكريم " (٣) .

---

١) التحرير والتنوير ، ٢٢ / ٩ .

٢) تفسير القرآن العظيم ، ٨ / ٤٦٧ .

٣) تفسير الفخر الرازي ، ١ / ٢٧٩٦ .

وقال الإمام الألوسي – رحمه الله – : " وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ، أي جميلا لا شراسة فيه ، قال الراغب : كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم ، وجعل ذلك بعض المحققين من وصف الشيء باسم صاحبه أي قولا صادرا عن كرم ولطف ويعود بالآخرة إلى القول الجميل الذي يقتضيه الأدب ويستدعيه النزول عن المروءة ، مثل أن يقول : يا أبتاه ، ويا أماه ، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب " (١) .

ومما سبق يظهر أن القول الكريم في القرآن يشمل معاني متعددة منها : القول الجميل ، والقول الحسن ، واللين واللطف ، والتأدب والحياء ، وغير ذلك من المعاني الجميلة التي يجب أن يتصف بها الإنسان في علاقته العامة مع المجتمع وفي علاقته الخاصة مع والديه .

ومما سبق يتبين أن بعض القول المعروف والكريم في القرآن يُقصد بهما الكلمة الطيبة .

أثر الكلمة الطيبة في الدعوة :

الكلمة الطيبة من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى ([٢]) ؛ وأقصد بها هنا حسن الخطاب الدعوي وحلاوة القول الموجه للمدعوين ، والتزام الداعية الكلمة الطيبة في قوله وخطابه يحقق آثارا إيجابية كثيرة في الدعوة ، منها :

---

١) روح المعاني ، ١٥ / ٥٦ .

[٢]) يمكن تحديد مفهوم أساليب الدعوة بأنها عبارة عن " فنون الكلام المتنوعة المنسقة التي يعبر بها الداعية عن فكرته ، ويبلِّغ من خلالها ما يريد من المفاهيم والمعاني والقضايا الدعوية .

أو هي الطرق التي ينتهجها الداعية في التعبير اللفظي عما يريد الإفصاح عنه ، وإبلاغه وتعليمه للناس من الموضوعات والرسائل الدعوية . نحو تأصيل علمي لمصطلحات علوم الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي ، ص ٣١ ، بحث غير منشور .

(١) القدوة الحسنة للمدعو

حيث إن الداعية بالتزامه الكلمة الطيبة يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أن يقولوا طيبا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ " (١) .

و"عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ قَالَ شُعْبَةُ أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشُكُّ ثُمَّ قَالَ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " (٢) .

ولا ريب أن الداعية إذا أصبح قدوة حسنة وطيبة وصورة مجسدة للإسلام أمام المدعو وثق فيه ، وآمن بدعوته التي يدعو إليها .

(٢) استجابة المدعو

من أعظم آثار الكلمة الطيبة أنها تؤثر في المدعو ، وتطيب خاطره ، وتهديه إلى طريق الدعوة ، ألا ترى كيف أثرت كلمات مصعب بن عمير رضي الله عنه الطيبة في أُسيد بن حضير رضي الله عنه عندما أتاه متشتما :

---

(١) البخاري ، ك الجهاد والسير ، ب من أخذ بالركاب ونحوه ، ٤ / ٥٦ ، رقم ٢٩٨٩ ، مسلم ، ك الزكاة ، ب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ٢ / ٦٩٩ ، ١٠٠٩ .

(٢) البخاري ، ك الأدب ، ب كيب الكلام ، ٨ / ١١ ، ٦٠٢٣ ، مسلم ، ك الزكاة ، ب الحث على الزكاة ولو بشق تمرة ، ٢ / ٧٠٣ ، رقم ١٠١٦ .

وقال لمصعب وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما : " ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين " .

وفعل مصعب ذلك مع سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما أته متشتما ؟ ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين ، قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق،

ثم ركع ركعتين " ([1]) .

فقد كانت كلمات مصعب بن عمير رضي الله عنه الطيبة الهادئة الصادقة سببا رئيسا من أسباب هداية الرجلين وقومهما .

وجاء في سير أعلام النبلاء : " عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الرُّمَّانِيِّ، قَالَ: قَالَ زَاذَانُ: كُنْتُ غُلاَماً حَسَنَ الصَّوْتِ، جَيِّدَ الضَّرْبِ بِالطُّنْبُوْرِ، فَكُنْتُ مَعَ صَحبٍ لِي، وَعِنْدَنَا نَبِيْذٌ، وَأَنَا أُغَنِّيْهِمْ، فَمَرَّ ابْنُ مَسْعُوْدٍ، فَدَخَلَ، فَضَرَبَ البَاطِيَةَ، بَدَّدَهَا، وَكَسَرَ الطُّنْبُوْرَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ مَا يُسْمَعُ مِنْ حُسْنِ صَوْتِكَ يَا غُلاَمُ بِالقُرْآنِ، كُنْتَ أَنْتَ أَنْتَ ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَسْعُوْدٍ.

فَأَلْقَى فِي نَفْسِي التَّوْبَةَ، فَسَعَيْتُ أَبْكِي، وَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَاعْتَنَقَنِي، وَبَكَى، وَقَالَ: مَرْحَباً بِمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ، اجْلِسْ ، ثُمَّ دَخَلَ، وَأَخْرَجَ لِي تَمْراً " (٢) .

ومن هذا النص يظهر أثر الكلمة الطيبة في سرعة استجابة المدعو .

(٣) تأليف قلب المدعو

من آثار الكلمة الطيبة أنها تؤلف بين القلوب ، وتقرب بين المتباعدين ، وتذهب أحقاد الصدور ، وتصلح ذات البين ، ولا يستغني الداعية عن هذه الأمور في ميدان الدعوة ، حيث تؤثر الكلمة الطيبة في نفس المدعو ويتألف

---

[1]) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، ٣ / ١٥٢ ، مكتبة المعارف – بيروت .

[2]) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، ٧ / ٣١٣ ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

الداعية قلبه بها ، وهناك نماذج لكثير من الدعاة أكدوا من خلالها أثر الكلمة الطيبة في تأليف قلب المدعو ، فعن أبي يعقوب المدني قال : كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر ، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئا إلا قاله له ، قال : وعلي ساكت ، فانصرف حسن ، فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه ، فخرج إليه ، فقال له علي : يا أخي إن كنت صادقا فيما قلت لي فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك ، السلام عليكم . وولى ، قال : فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ، ثم قال لاجرم ، لاعدت في أمر تكرهه ، فقال : علي وأنت في حل مما قلت لي " (١) .

(٤) مراعاة مشاعر المدعوين

في الكلمة الطيبة مراعاة لمشاعر المدعوين ، وقد تجلى هذا الأمر واضحا في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه الدعوية ، فقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتحاشى العتاب المباشر ؛ مراعاة للمشاعر ، فقد كان يقول : " ما بال أقوام " ، وعَنْ أَنَسٍ قَالَ : خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، وَلَا مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلَا عِطْرًا

(١) صفة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، ٢ / ٩٤ ، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩

كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

ومن فقه الداعية أن يجعل الكلمة الطيبة ظاهرة في خاتمة خطابه مع المدعو : حيث إن الخاتمة لها الأثر الباقي الواضح ؛ إذ هي آخر كلامه ذكرا ، فكانت أعلقه بنفوسهم ، وأكثره اتصالا بقلوبهم ، فإن كان وقعها حسنا ، انسحب ذلك على خطابه ، وإلا ساء الأثر وضاعت الغاية المنشودة ، والأمل المرجو ، والأمر المبغى ؛ وذلك يجب أن يكون فيها من جمال التعبير ، وحسن الانسجام ، وجودة المعنى ، وإصابة الغرض ، ولطف المقطع ، وإحكامه ، ما يبقي أحسن الآثار وأحكم الأفكار (٢) .

ومما سبق يظهر أن الكلمة الطيبة لا يستغني عنها الداعية في خطابه مع المدعو بأي حال ، وأنها تحقق آثارا إيجابية متعددة في ميدان الدعوة الإسلامية

وسوف أنتقل إلى الحديث عن القول البليغ وأثره في الدعوة ، وذلك في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى .

---

(١) الترمذي ، ك البر والصلة ، مَا جَاءَ فِي خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ٣ / ٥٤٢ ، رقم ٢٠١٥ ، وقال : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) الخطابة ، أبو زهرة ، ١٣٢ بتصرف .

المبحث الثاني :
القول البليغ وأثره في الدعوة

أولا : القول البليغ في القرآن

تحدث القرآن الكريم عن وصف آخر من أوصاف القول ، وهو " القول البليغ " (١) ، وقد أمر به الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم عند عظة المنافقين .

قال تعالى : [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ

---

١) قال ابن فارس – رحمه الله – : " البَلاغَة : التي يُمْدَحُ بها الفَصِيحُ اللّسان ، لأنّه يبلُغُ بها ما يريده " معجم مقاييس اللغة ، ١ / ٣٠١ ، ٣٠٢ . وجاء في المعجم الوسيط : " (البلاغة) حسن البيان وقوة التأثير ، و(عند علماء البلاغة) مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " . ١ / ٧٠ . وقال الإمام الزبيدي – رحمه الله – : " البَلِيغُ الفَصِيحُ الّذِي يَبْلُغُ بعَبارَتِه كُنْهَ ضَمِيرِه ، ونِهَايَةَ مُرَادِه ، وجَمْعُ البَلِيغِ : بُلَغاءَ .

والبَلاغَةُ على وَجْهَيْنِ : أحَدُهُما : أنْ يَكُونَ بذاتِهِ بَلِيغاً ، وذلكَ بأنْ يَجْمَعَ ثلاثَةَ أوْصَافٍ : صَوَاباً في مَوْضَوعِ لُغَتِه ، وطِبْقاً للمَعْنَى المَقْصُودِ بهِ ، وصِدْقاً في نَفْسِه ، ومتى اخْتُرِمَ وَصْفٌ منْ ذلكَ كانَ ناقِصاً في البَلاغَة .

والثّاني : أنْ يَكُونَ بَلِيغاً باعْتِبَارِ القائِلِ والمَقُولِ لَهُ ، وهُوَ أنْ يَقْصِدَ القائِلُ بهِ أمْراً ما ، فيُوِدَهُ على وجْهٍ حَقِيقٍ أنْ يَقْبَلَهُ المَقُولُ لَهُ " . تاج العروس ، ٢٢ / ٤٤٧ .

" وأَسَدُّ عبارات الأدباء في حد البلاغة وأوفاها بالغرض قولهم : البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان .

فعلى هذا فكلما ازداد الكلام في المطابقة للمعنى وشرف الألفاظ ورونق المعاني والتجنب عن الركيك المُستغث كان بلاغته أزيد " . كتاب الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ص ٣٤٩ ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا] النساء:٦٣ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " " وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسهمْ قَوْلًا بَلِيغًا " . أَيْ وَانْصَحْهُمْ فِيمَا بَيْنك وَبَيْنهمْ بِكَلَامٍ بَلِيغ رَادِع لَهُمْ " (١) .

وقال الفخر الرازي – رحمه الله – : " القول البليغ صفة للوعظ ، فأمر تعالى بالوعظ ، ثم أمر أن يكون ذلك الوعظ بالقول البليغ ، وهو أن يكون كلاما بليغا طويلا ؛ حسن الألفاظ حسن المعاني ، مشتملا على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب ، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب ، وإذا كان مختصرا ركيك اللفظ قليل المعنى لم يؤثر ألبته في القلب (٢) .

ومما سبق يظهر أن البلاغة في القول والخطاب يجب أن يستخدمها الداعية حالة عِظة المنافقين ، وتخويفهم ، ونهيهم عما هم فيه بشكل خاص ، وفي الدعوة بشكل عام .

ثانيا : أثر القول البليغ في الدعوة :

تترتب على بلاغة الداعية وفصاحته آثار إيجابية متعددة في الدعوة إلى الله تعالى ، منها :

(١) حصول النفع عند المدعو

وذلك عن الطريق الإفهام والتفهيم ، والتأثير والتأثر ، وفي ذلك يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله – في معرض حديثه عن آداب الداعي (الصفة

١) تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ١٣٩ .

٢) مفاتيح الغيب ، ١ / ١٤٨٤ .

السابعة) : " قوة البيان وفصاحة اللسان ، وإلا كان النفع بعيدا ، بل كان مثال الحزي والعار على الإرشاد وأهله ، فإن مدار الأمر على البيان والتبيين والإفهام والتفيهم .

وكلما كان اللسان أبين كان أقوى وأجمل ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد وأكمل .

وقد سألها موسى عليه السلام ربه حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ، والحُبسةَ التي كانت في بيانه :[وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي] {طه: ٢٧ . ٢٨} ، الحُبسة بالضم تعذر الكلام عند إرادته ، وقال : [وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي] {القصص:٣٤} . وقال : [وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي] {الشعراء:١٣} ، رغبة منه عليه السلام في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع ، فإن خصمه فرعون كان مشاغبا سبابا ، مذهب كل جاحد معاند ، وشأن كل محتال مكايد كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : [أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ] {الزُّخرف:٥٢} . أي ضعيف حقير لا يكاد يبين الكلام ، قاله افتراء عليه وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام ؛ من نوع رتة ، وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى : [قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى] {طه:٣٦} وذكر الله عز وجل عظيم منته في تعليم البيان ، وجميل نعمته في تقويم اللسان ، فقال : [الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ البَيَانَ] {الرَّحمن:١ – ٤}

أي مكنه من التعبير عما في ضميره لإفهام الغير ، كما مكنه من فهم بيان غيره ، وضرب لنا مثلا لعي اللسان ورداءة البيان حيث شبه أهله بالنساء والولدان ، فقال : [أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ] {الزُّخرف:١٨} ، أي : أو جعلوا له تعالى مَن شأنه أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى أمره بنفسه ، وهو مع هذا القصور في الجدال الذي لا يخلو عنه إنسان في العادة غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه لقبح ما يحدث عن العي من اختلال الحجة ، وعن الحصر من فوت درك الحاجة ، وأصل البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى .

وبالجملة فقوة البيان وفصاحة اللسان من جلائل نعم الله تعالى على الداعي ، بهما يملك القلوب ، وبهما يؤثر في الأرواح " (١) .

(٢) الحفاظ على هيبة الخطاب في نفس المدعو

فإذا توفرت البلاغة والفصاحة في خطاب الداعية وقوله ، حافظت على هيبة الداعية وخطابه في نفس المدعو ، وإذا انعدمت البلاغة ووجدت الركاكة اللغوية في خطاب الداعية ، ذهبت هيبة خطابه وجلالته في نفس المدعو ، وعن أثر انعدام البلاغة في خطاب الداعية يقول الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – : " ألا تكون الألفاظ مبتذلة أو مستفلة إلى درجة العامية ، فيذهب رواء الخطبة ، ويضيع جلال معانيها ، كاستعمال لفظ أتعشم في موضوع أرجو أو آمل ، أو أطمع ، وكاستعمال لفظ أفتكر في موضع أتفكر ، أو أفكر ، أو أتأمل ، أو أذكر ، ونحو ذلك من الألفاظ العامية ، أو

١) هداية المرشدين ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

المبتذلة القريبة منها ، التي شاع استعمالها على ألسنة بعض خطبائنا خطأ ، فعلى الخطيب أن ينتقي ألفاظ الخطبة من غير أن يغرب ، فيبعد عن المألوف ، ومن غير أن يترل فينطق بالمبتذل أو العامي ، في حضرة من يفهم الفصحى ، قال بشر بن المعتمر في وصاياه للخطيب : فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام " ([1]) .

(٣) الإقناع والاستمالة

وأعظم آثار البلاغة والبيان في خطاب الداعي : أنها تسحر النفس ، وتستهوي العقل ، وتقنع المدعو ، وتزيل الغشاوة عنه بوضوح وجلاء ، ومما يؤكد ذلك ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنْ الْمَشْرِقِ ، فَخَطَبَا ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ، أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ " ([2]) .

وهذا الحديث يبين أثر البلاغة وحسن البيان في النفس البشرية ، " وَالْبَيَان نَوْعَانِ ، الْأَوَّل مَا يُبَيِّن بِهِ الْمُرَاد ، وَالثَّانِي تَحْسِين اللَّفْظ حَتَّى يَسْتَمِيل قُلُوب السَّامِعِينَ . وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي يُشَبَّه بِالسَّحَرِ ، وَالْمَذْمُوم مِنْهُ مَا يُقْصَد بِهِ الْبَاطِل ، وَشَبَّهَهُ بِالسِّحرِ لِأَنَّ السِّحر صَرْف الشَّيْء عَنْ حَقِيقَته .

قَالَ صَعْصَعَة بْن صُوحَان : صَدَقَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

---

١) الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ١٤٣ ، مطبعة العلوم – القاهرة – ط الأولى ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م .

٢) البخاري ، ك الطب ، ب إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا ، ٧ / ١٣٨ ، رقم ٥٧٦٧ .

الرَّجُل يَكُون عَلَيْهِ الْحَقّ وَهُوَ أَلْحَن بِالْحُجَّةِ مِنْ صَاحِب الْحَقّ فَيَسْحَر النَّاس بَيَانه فَيَذْهَب بِالْحَقِّ " (١) .

وإذ نطالب الدعاة بالبلاغة في القول والخطاب نطالبهم بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت البلاغة من أظهر سمات خطبه ومواعظه ، فعلى سبيل المثال خطبته للأنصار بعد حنين ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ : لَمّا أَعْطَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا ، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ حَتّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقَدْ لَقِيَ وَاَللّهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْك فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْت فِي هَذَا الْفَيْءِ الّذِي أَصَبْت ، قَسَمْت فِي قَوْمِك ، وَأَعْطَيْت عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ " قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَنَا إلّا مِنْ قَوْمِي ، قَالَ " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَك فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ " قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدّهُمْ فَلَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدْ اجْتَمَعَ لَك هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجْدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيّ فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهَدَاكُمْ اللّه ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللّهُ وَأَعْدَاءَ فَأَلّفَ اللّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ " قَالُوا : بَلَى ، اللّهُ

---

١) فتح الباري ، ٩ / ٢٠٢ .

وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ ثُمّ قَالَ " أَلَا تُجيبُونَني يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَـــارِ ؟ " قَـــالُوا : بِمَاذَا نُجيبُك يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ " أَمَا وَاَللّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ أَتَيْتنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاك ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاك ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاك ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاك . أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَـــرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْت بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللّهِ إلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْـــرَةُ لَكُنْت امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِـــعْبًا ، لَسَلَكْت شِعْبَ الْأَنْصَارِ . اللّهُمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ " قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللّهِ قَسْمًا وَحَظّا . ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَفَرّقُوا " (١)

" إن خطبته صلى الله عليه وسلم ذات موضوع واحد ، وقـــد جمعـــت العتاب والسؤال والجواب والإقناع ، وهي من التصنع والتكلف براء .

لقد بدأ صلى الله عليه وسلم الخطبة بأسلوب الاستفهام الإنكاري البليغ الذي أحدث بينه وبين الأنصار تجاوبا روحيا وفكريا حتى قالوا بعد مقدمـــة وجيزة : بلى يا رسول الله .

وتبدلت حالتهم من غضب إلى رضاء بتأثير القول الذي ترجم عن نفسية القائل ، ونزل الكلام منزلة الدواء وأحدث رد الفعل وهو البكاء من فـــرط الرضا ، فهذا إلهام النبوة ، ونتاج الحكمة ، وغاية العقل ، وأسمى ما جادت

---

١) أحمد في المسند ، ١٨ / ٢٥٥ ، رقم ١١٧٣٠ .

به الخواطر " ([1]) .

وجدير بالذكر أن علماء الدعوة الإسلامية أكدوا وجوب امتلاك الداعية لأساليب البيان والفصاحة ، حتى يستطيع التأثير في المدعوين ، وفي ذلك يقول الشيخ الميداني : " أن يكون على علم بأساليب البيان البليغ المهذب المؤثر ، وأن يتعلم كيف يواجه الناس برسالته ، وكيف يخاطبهم أفرادا وجماعات ، بحسب مستوياتهم الفكرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وبحسب أحوالهم النفسية ، في السلم والحرب ، والصحة والمرض ، والغِنى والفقر ، والنشاط والكسل ، إلى غير ذلك من أحوال الناس .

فمن المعلوم المشاهد في كل مجتمع أن الناس على مستويات مختلفة متفاضلات ، من العلم ، والفهم ، والذكاء ، والأمانة الاجتماعية ، وأن كل مستوى من مستوياتهم له أسلوب ومستوى ، ولا بمضمون فكري واحد .

إن خطاب العلماء يختلف عن خطاب العامة ، وخطاب الأذكياء الفطناء يختلف عن خطاب متوسطي الذكاء والأغبياء ، وخطاب الملوك والرؤساء والقادة يختلف عن خطاب من دونهم من الناس ، وخطاب المرضى يختلف عن خطاب الأصحاء .

وللأغنياء خطاب يخصهم ، وللفقراء خطاب يلائم أحوالهم ، والخطاب في السلم يختلف عن الخطاب في حالة الحرب ، وهكذا في سائر أحوال الناس المختلفة .

---

[1]) الخطابة في العصر الإسلامي ، فوزية عباس خان ، ص ٣١ ، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير – جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، إشراف الدكتور / محمد نبيه حجاب ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

فعلى حامل الرسالة أن يدرب نفسه تدريبا طويلا على استخدام وجوه الخطاب المختلفة ، وعلى وضع كل منها في الموضوع الملائم له ، وعلى اختيار الأسلوب البياني الأكثر نفعا للموقف التوجيهي الذي يؤدي رسالته فيه ، وينبغي أن يكون هذا التدريب قبل أن يحمل رسالته التخصصية في الدعوة إلى دين الله ، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يكون تدربه وهو في طريق التخصص " ([1]) .

ومما سبق يتضح أن البلاغة والفصاحة في خطاب الداعية من مقتضيات إقناع المدعو والتأثير فيه ، ومن ثم وجب على الدعاة إلى الله تعالى تعلم أساليب البيان والفصاحة في القول والخطاب .

وسوف أنتقل إلى الحديث عن القول الميسور وأثره في الدعوة ، وذلك في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى .

[1]) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

المبحث الثالث :
القول الميسور وأثره في الدعوة

أولا : القول الميسور في القرآن

اليُسر (١) من أهم أوصاف القول التي ذكرها القرآن الكريم ، وذلك في معرض الحديث عن علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمجتمع عامة وأقاربه خاصة ؛ حيث إنه أمره أن يقول قولا ميسورا سهلا لينا عندما لم يجد ما يعطيه لأقاربه ومن سأله من الصدقة .

وفي ذلك يقول الله تعالى : [وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا] الإسراء:٢٨ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : وَقَوْله : " وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ اِبْتِغَاء رَحْمَة مِنْ رَبّك " . الْآيَة ، أَيْ إِذَا سَأَلَك أَقَاربك وَمَنْ أَمَرْنَاك بِإِعْطَائِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدك شَيْء وَأَعْرَضْت عَنْهُمْ لِفَقْدِ النَّفَقَة " فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا " . أَيْ عِدْهُمْ وَعْدًا بِسُهُولَةٍ وَلِين إِذَا جَاءَ رِزْق اللَّه فَسَنَصِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّه " (٢) .

وفي ذلك أيضا يقول الفخر الرازي – رحمه الله – : " ثم قال تعالى :

---

١) " اليُسْرُ بالضم وبضمتين واليَسارُ واليَسارَةُ والمَيْسَرَةُ مُثلَّثَةَ السين : السُّهولَةُ والغِنَى . وأيْسَرَ يساراً ويُسْراً : صارَ ذا غِنًى فهو مُوسِرٌ (ج) : مَياسِيرُ ، أو اليُسْرُ : ضِدُّ العُسْرِ . وَتَيَسَّرَ واسْتَيْسَرَ : تَسَهَّلَ . ويَسَّرَهُ : سَهَّلَهُ يكونُ في الخَيْرِ والشَّرّ . والمَيْسورُ : ما يُسّرَ أو هو مَصْدرٌ على مَفْعولٍ " . القاموس المحيط ، ص ٦٤٣ . " واليُسْرُ واليَسارُ والمِيسَرَةُ والمَيْسُرَةُ كله السُّهولة والغِنى ، والميسورُ ضدّ المعسور وقد يَسَّرَه الله لليُسرى أَي وفَّقَه لها " . لسان العرب ، ٥ / ٢٩٥ .

٢) تفسير القرآن العظيم ، ٨ / ٤٦٧ .

{ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا } والمعنى : أنك إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد بسبب الفقر والقلة : {فَقُل لَّهُمْ قَوْلا مَّيْسُورًا} . أي سهلاً ليناً ، وقوله : {ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا} كناية عن الفقر ، لأن فاقد المال يطلب رحمة الله وإحسانه . فلما كان فقد المال سبباً لهذا الطلب ولهذا الابتغاء أطلق اسم السبب على المسبب فسمى الفقر بابتغاء رحمة الله تعالى ، والمعنى : أن عند حصول الفقر والقلة لا تترك تعهدهم بالقول الجميل والكلام الحسن ، بل تعدهم بالوعد الجميل وتذكر لهم العذر وهو حصول القلة وعدم المال ، أو تقول لهم : الله يسهل ، وفي تفسير القول الميسور وجوه : الأول : القول الميسور هو الرد بالطريق الأحسن . والثاني : القول الميسور اللين السهل . الثالث : قال بعضهم : القول الميسور مثل قوله : {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى } (البقرة : ٢٦٣) قالوا : والميسور هو المعروف ، لأن القول المتعارف لا يحوج إلى تكلف ، والله أعلم " (١) .

والمقصود بالقول الميسور على ما ذكره الشيخ الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – أنه : " إن سألك أحدهم عطاءً فلم تجبه إليه أو إن لم تفتقدهم بالعطاء المعروف فتباعدتَ عن لقائهم حياءً منهم أن تلاقيهم بيد فارغة فقل لهم قولاً ميسوراً .

والقول الميسور : اللين الحسن المقبول عندهم ؛ شَبّه المقبول بالميسور في قبول النفس إياه لأن غير المقبول عسير " (٢) .

---

١) مفاتيح الغيب ، ١ / ٢٧٧٩ .

٢) التحرير والتنوير ، ١٥ / ٨٢ ، ٨٣ .

ثانيا : أثر القول الميسور في الدعوة

اليسر في قول الداعية إلى الله تعالى ، يُقصد به حُسن البيان ، والسهولة في العبارة ، والوضوح في الدلالة ، وإذا التزم الداعية القول الميسور بهذه المعاني في الخطاب الدعوى ، حقق آثارا إيجابية متعددة في ميدان الدعوة إلى الله تعالى ، ومن هذه الآثار ما يلي :

(١) حسن فهم المدعو للخطاب

الخطاب الدعوي إذا كان ميسورا وسهلا وواضحا حسن فهم المدعو له بكل سهولة ويسر ، وفي ذلك يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله : " أن يكون اللفظ واضحا مكشوفا وقريبا معروفا ، من السهل إدراك معناه ، والوصول إلى مرماه ، لا يبعد عن مألوف السامعين ، ولا يتناءى عن معروفهم ، وإلا كان غريبا يعلو على مداركهم ، ومن يفهمه منهم يحس بأنه غير أنسي ، ويشبه أن يكون وحشيا ؛ لأنه يعيش في غير بيئته ، ويخاطب به غير أهله ، وقد تكون الكلمة التي على هذه الشاكلة من العربية الصحيحة التي كانت شائعة عند العرب ، ولكنها غير شائعة عند الجماعة التي يخاطبها ؛ ولهذا تستهجن مخاطبتهم بها ؛ لأن الخطبة للتأثير فيهم ، وإثارة وجدانهم ، ولا يكون ذلك إلا بما هو مفهوم لهم ، مأنوس الاستعمال عندهم " (١) .

(٢) وضوح الألفاظ وخلوها من الغموض والتعقيد عند المدعو

فينبغي ألا يستخدم الداعية ألفاظا غير مفهومة لجمهور المخاطبين ، مثل

---

١) الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، مطبعة العلوم – القاهرة – ط الأولى ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م .

استخدام " التبر" بدلا من الذهب ، وكمن يريد أن يقول : إن هذا الأمر جدير بالملاحظة ، فيقول : إن هذا الأمر قمين بالملاحظة ، وكمن يقرأ بيتا من الشعر يحتوي على ألفاظ غير مفهومة ، ولا يقوم بتوضيحها للمخاطبين .

هذا ؛ ولأن الداعية يتحدث إلى جمهور متفاوت في ثقافته وتعليمه واستيعابه ، فإن عليه مهمة خطيرة وليست هينة ، وهي أن يُفهمَ الجميع ، ويحاول التحدث بلغة واضحة للجميع ، ولكي يصل إلى هذا الغرض يتحتم عليه أن يتجنب الألفاظ التي لا يعرفها إلا المثقفون ، حتى لا يضيع مَن دونهم ، كما يتحتم عليه أن يتجنب الألفاظ المبتذلة ، حتى لا ينفر منه المثقفون ، ولكن يلتزم الوسطية ، فيتخير ألفاظا فصيحة ، وهي في ذات الوقت سهلة الفهم على غير المتعلمين من العوام ، وإذا شعر أن اللفظ به شيئ من الغموض على بعض فئات الحاضرين ، عمد إلى شرحه وتفسيره وبيانه ([1]) .

وعندما ننظر في القواسم المشتركة المتعلقة بخطاب الرسل مع المدعوين نجد أن اليسر والوضوح من بين هذه القواسم ، يقول د أحمد غلوش : " الرسل جميعا واضحون في رسالتهم ، ليس في دعواتهم خفاء أو غموض أو التواء ، فهم جميعا بلغة أقوامهم ليبينوا دعوتهم بسهولة ويسر ، ومِن تَتَبُّعِ آيات القرآن الكريم نرى أن الوضوح خصيصة لازمة لكل الدعوات ، يقول تعالى : [فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالبَيِّنَاتِ] {آل عمران:١٨٤} ، ويقول : [وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ] {البقرة:٩٢} ، وقول : [فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] {الصَّف:٦} ، ومن

---

١) الخطابة في موكب الدعوة ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ باختصار وتصرف .

هذا الوضوح أن الدعوة كانت تنزل منجمة ؛ حتى يفهم السائل ، ويقتنع المجادل ، وتنمحي الشبه ، وتستقر الدعوة على أسس ثابتة " ([1]) .

(٣) ضمان الثقة عند المدعو

وفي ذلك يقول د رؤوف شلبي رحمه الله : " نجاح أية دعوة واستمرارها يتوقف على مقدار عرضها عرضا واضحا صادقا : يتضمن لها الوضوح والثقة دائما في المستقبل .

وواضح في العصر الحديث أن أهداف الدعوات لا يُفصح عنها ، ويَستخدم الزعماء شعارات براقة ، يُخفون وراءها الهدف الأسود ، حتى إذا ما أتيح لهم إعلانه بأسلوب القهر ، أو السيطرة وإلغاء العقل والإرادة والكرامة ، فإنهم لا يألون جهدا في ذلك ، ويفسرون نداءاتهم الأولى بعذب من الحديث المخادع الكاذب ، وبذلك لا تلبث أن تنفض الناس والجماهير من حولهم ، كما هي طبيعة الزبد : يذهب جفاء وتبقى الحسرة والغيظ ، والكمد والحيرة ، والآلام والضيق والعسر ، للناس من بعد .

ولذلك ، فإن الدعوة الإسلامية حرصت – وهي تقعد منهج العمل مع الجماعة – على أن يكون الهدف من الدعوة واضحا ، ولذلك اتخذ عرض الدعوة زمنا فسيحا زهاء ثلاثة عشر عاما على ما رواه العلماء ، واتخذت لذلك أسلوبا واضحا جليا : مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .

ووضوح العرض هنا ، يراد منه : وضوح الهدف ، ووضوح الدليل .

---

١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، د أحمد أحمد غلوش ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، دار الكتاب المصري – القاهرة – ، ط الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

لقد عرضت الدعوة الإسلامية عرضا واضحا تفردت به على طول الزمن ، لقد فهمها الجن قبل البشر ولسانها هو لسان القرآن ، عربي مبين .

ولقد أحاط اللفظ القرآني بجميع جلال المعاني في جاذبية انسيابية حلوة فتستجيب لها العاطفة النيرة ، وينشد إليها القلب الصادق ، ويتلذذ حلاوتها الوجدان السليم .

لقد عرض اللفظ القرآني الدعوة مستوعبا لكل أجزاء الموضوع ، متخذا كل زاوية من زوايا الفكر والوجدان والتاريخ في جملة ما ساقه ، حتى لا تكون للناس حجة بعد هذا التوضيح الواضح .

وليس هناك أدنى شك في أن عرض الدعوة الإسلامية امتاز – وحده – بالوضوح الدائم على طول الزمن الممتد ، وأن غيرها من الدعوات لم ينل هذا الحظ لعجز البشر عن توضيح هدفه وفساد صنعة التعبير التي تصدر عن الإنسان ، فشتان ما بين وحي معصوم هو كلام الله المجيد ... وإنشاء مرذول هو كلام البشر الوضيع " ([1]) .

(٤) عدم الملل من خطاب الداعية

الخطاب الدعوي إذا كان صعبا لا يدركه الناس ، وكان طويلا متشعب الأطراف ، ملّ الناس منه ، ومن ثم فإن الإيجاز والبساطة ، مع دقة الألفاظ ووضوح المعاني من مظاهر اليسر والسهولة في قول الداعية وخطابه مع المدعو ، وقد كان الإيجاز والبساطة سمة بارزة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المدعو ، " لقد كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم –

[1]) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها ، الدكتور رؤف شلبي ، ص ١٨١ وما بعدها باختصار ، مطبعة الفجر الجديد – القاهرة – بدون .

المرسلة إلى الملوك والرؤساء – موجزة واضحة المعالم فيها البساطة ، قدمت أصل هذه العقيدة وهو الإيمان بالله وحده لا شريك به واتباع الخير والمعروف ، دون أن تدخل في التفصيلات والتفريعات الجزئية ، وذلك لأن الغرض من هذه الكتب إبلاغ تلك المجتمعات رسالة ربهم سبحانه وتعالى ، وبعد أن يسلموا لله رب العالمين يكون عليهم ما على المسلمين ولهم ما لهم أيضا ، وهذا الأسلوب يساعد في سرعة فهم الكتب النبوية ، ووضح الفكرة الإسلامية لدى أولئك الزعماء " ([1]) .

ومما سبق يظهر أن اليُسر والسهولة في خطاب الداعية يحققان آثارا إيجابية متعددة ، أبرزها : فهم المدعو للدعوة ، واقتناعه بها ، وحسن اتباعه لها ، ومن ثم وجب اهتمام الداعية بهذا الأمر في خطابه مع المدعوين .

وسوف أنتقل إلى الحديث عن القول اللين وأثره في الدعوة في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى .

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

المبحث الرابع :
القول اللين وأثره في الدعوة

أولا : القول اللين في القرآن

من أهم أوصاف القول في القرآن الكريم : القول اللين (١) ؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى أمر به موسى وهارون عليهما السلام في دعوتهما فرعون – ملك مصر – ، ومن ثم فإن هذا الوصف له تأثيره الخاص في الدعوة إلى الله تعالى بشكل عام ، وفي دعوة الطغاة والحكام والظالمين بشكل خاص ، وبيان ذلك على النحو التالي :

---

١) تأتي كلمة اللين في معاجم اللغة ويقصد بها : السهولة وعدم الخشونة ، وفي ذلك يقول المناوي – رحمه الله – : " اللين ضد الخشونة ، ويستعمل في الأجسام ، ثم يستعار للخُلق ولغيره من المعاني ، فيقال : فلان لين ، وفلان خشن ، وكل منهما يُمدح به طورا ويُذم طورا بحسب اختلاف المواضع " . التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، ص ٦٣٠ . وقال ابن منظور – رحمه الله – : " اللِّينُ ضِدُّ الخُشونة ، يقال في فِعْل الشيء اللَّيِّن : لانَ الشيءُ يَلِينُ لِيْناً ولَيَاناً وتَلَيَّن ، وشيءٌ لَيِّنٌ ولَيْنٌ مخفف منه والجمع أَلْيِناءُ ، وفي الحديث " يَتْلُونَ كتابَ الله لَيِّناً " أَي سَهْلا على أَلسنتهم " . لسان العرب ، ١٣ / ٣٩٤ . " والمُلايَنَةُ : المُداهَنَةُ " . تاج العروس ، ٣٦ / ١٣٥ . وقال الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – : والقول الليّنُ : الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال ، بأن يُظهر المتكلّم للمخاطب أنّ له من سداد الرأي ما يتقبّل به الحق ويميّز به بين الحق والباطل ، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطَب أو تجهيله ، فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء الليّنِ .

واللين ، حقيقة من صفات الأجسام ، وهو : رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليّه ، وضد الليّن الخشونة . ويستعار الليّن لسهولة المعاملة والصفح " التحرير والتنوير ، ١٦ / ٢٢٥.

قال تعالى : [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] طه: ٤٤ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " هَذِهِ الْآيَة فِيهَا عِبْرَة عَظِيمَة ؛ وَهُوَ أَنَّ فِرْعَوْن فِي غَايَة الْعُتُوّ وَالِاسْتِكْبَار ، وَمُوسَى صَفْوَة اللَّه مِنْ خَلْقه إِذْ ذَاكَ ، وَمَعَ هَذَا أُمِرَ أَنْ لَا يُخَاطِب فِرْعَوْن إِلَّا بِالْمُلَاطَفَةِ وَاللِّين .

وَقَالَ وَهْب بْن مُنَبِّه : قُولَا لَهُ إِنِّي إِلَى الْعَفْو وَالْمَغْفِرَة أَقْرَب مِنِّي إِلَى الْغَضَب وَالْعُقُوبَة ، وَعَنْ عِكْرِمَة فِي قَوْله " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا " قَالَ : لَا إِلَه إِلَّا اللَّه . وَقَالَ عَمْرو بْن عُبَيْد عَنْ الْحَسَن الْبَصْرِيّ : " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا " . أَعْذَرَا إِلَيْهِ ؛ قُولَا لَهُ : إِنَّ لَك رَبًّا وَلَك مَعَادًا لِأَنَّ بَيْن يَدَيْك جَنَّة وَنَارًا ؛ وَقَالَ بَقِيَّة عَنْ عَلِيّ بْن هَارُون عَنْ رَجُل عَنْ الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم عَنْ النَّزَّال بْن سَبْرَة عَنْ عَلِيّ فِي قَوْله " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا " . قَالَ : كَنِّهِ . وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ : كَنِّهِ بِأَبِي مَرَّة ، وَالْحَاصِل مِنْ أَقْوَالهمْ أَنَّ دَعْوَتهمَا لَهُ تَكُون بِكَلَامٍ رَقِيق لَيِّن سَهْل رَفِيق ؛ لِيَكُونَ أَوْقَع فِي النُّفُوس وَأَبْلَغ وَأَنْجَع(١) .

وقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام دعوة فرعون بالقول اللين لأمرين :

الأول : أنه عليه السلام كان قد رباه فرعون فأمره أن يخاطبه بالرفق ؛ رعاية لتلك الحقوق ، وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الأبوين .

الثاني : أن من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا عتواً وتكبراً، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا أمر

١) تفسير القرآن العظيم ، ٩ / ٣٣٩ .

الله تعالى بالرفق " (١) .

وقد تمثل هذا اللين في قوله تعالى : { فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } (النازعات : ١٨ ، ١٩) . وذكر أيضاً في هذه السورة بعض ذلك ، فقال : { فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ } (طه : ٤٧) إلى قوله : { وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى } (طه : ٤٧) .

وقيل : " أن تَعِداه شباباً لا يَهرمُ بعده ، ومُلكاً لا يُترع منه إلا بالموت ، وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته " (٢) .

" واللين من شعار الدعوة إلى الحق ، قال تعالى : [وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] {النحل:١٢٥} ، وقال : [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ] {آل عمران:١٥٩} ، ومن اللين في دعوة موسى لفرعون قوله تعالى : { فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } (النازعات : ١٨ ، ١٩) ، وقوله : { وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى } (طه : ٤٧) ، إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى ، فإذا لم ينفع اللين مع المدعوّ وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه ، قال تعالى : [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] {العنكبوت:٤٦} ، وقال تعالى عن موسى : ([إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى] {طه:٤٨} " (٣) .

---

١) مفاتيح الغيب ، ٢٢ / ٥٣ .

٢) السابق ، ٢٢ / ٥٣ .

٣) التحرير والتنوير ، ١٦ / ٢٢٥ . ويراجع : روح المعاني ، ١٦ / ١٩٥ .

ثانيا : أثر القول اللين في الدعوة

اللين في القول من ضمن الأساليب الدعوية التي اعتمدها موسى عليه السلام في دعوة فرعون، وذلك بأمر الله تعالى له: [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] {طه:٤٤}.

يقول الشيخ محمد حسين فضل الله عن اللين في القول وأثره في الدعوة : " ثم ننتقل بعد ذلك إلى موسى عليه السلام وهو يواجه فرعون في عتوه وطغيانه وجبروته ، ويجعله وجها لوجه مع الدعوة إلى الله وإلى رسالته ، فقد أرشده الله سبحانه إلى الأسلوب الذي ينبغي أن يسير عليه ويتبعه في إقامة الحجة وإبلاغ الدعوة ، فالموقف لا يتناسب أبدا مع أسلوب الشدة ، لأنه لا يوصل للغاية المطلوبة وهو الإيمان بالله ، بل ربما يزداد الموقف تعقيدا بذلك بما تفرضه طبيعة التحدي من ردود الفعل السيئة في هذا المجال ، ولاسيما مع فرعون الذي انطلقت به مطامحه ونوازعه إلى دعوى الربوبية ، فلم يبق إلا أسلوب الرفق في المواجهة واللين في القول ، فهو الوسيلة الطبيعية للإيمان ، والسبيل العملي الأقرب لربح الموقف .

على ضوء ذلك نستطيع أن نفهم الآية الكريمة التي وردت لتوجه موسى وهارون عليهما السلام في رسالتهما الإلهية التي انطلقا بها إلى فرعون : [اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى] {طه:٢٤} ، فلا يمكن أن يترك في طغيانه ، بل لابد من إيقافه عند حده ، وإرجاعه عن غيه ..

ولكن أي أسلوب هو الأسلوب الذي يتبع في البداية ؟ هل هو أسلوب القوة ؟ .. إنه لا يُجدي ، ولا يتناسب مع روح الرسالة الإلهية التي لا تلجأ إلى القوة وإلى العنف إلا بعد استنفاد الوسائل السلمية .. فربما يكون هذا

الطغيان ناشئا عن غفلة أو نسيان ، أو استسلام للقوة المادية التي يتمتع بها ، وضعف القوى الأخرى التي تحيط به .. الأمر الذي يجعله في غفلة عن القوة القاهرة التي تسيطر على كل ما في الكون من قوى ، ولذا فلابد للداعية في البداية من أن يثير لديه الذكرى ليتذكر .. ويجعله وجها لوجه أمام قـــوة الله التي لا تقف عند حد ، ليخاف ويخشى ويتضاءل ويتصاغر أمام القوة الإلهية المطلقة .

وإذا فلابد من القول اللين ؛ لأنه يتيح للفكرة أن تحافظ على هـــدوئها بعيدا عن جو الحماس والتحدي ، ويفسح للداعية أن يملك زمام نفسه بعيدا عن جو الإثارة والصخب ، ويعطي المخاطبين مجال التأمل والتفكير ، دون أن يتعرضوا لهزة المفاجأة العنيفة التي تثير أعصابهم وتتركهم يعيشون في إطـــار الذات والشخصية بعيدا عن الفكرة والتفكير ، ومن هنـــا جـــاء التوجيـــه منسجما مع الحكمة ، ومنطبقا على الموعظة الحسنة في قوله تعالى : [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] {طه:٤٤} .

ونستطيع أن نلمح في التعبير ب " لعل" التي تدل على " الترجي " الذي يعطي قرب حصول الفعل .. أنه لابد للداعية من أن يلاحظ في الأســـلوب قابليته للتأثير في قرب حصول الفعل وتعجيله .. فلا يكون الترجي منطلقـــا من الواقع الشخصي للمخاطب بقدر ما يكون جاريا مـــع الطبيعـــة المرنـــة للأسلوب " ([1]) .

وقد تمثل اللين في خطاب موسى عليه السلام مع فرعون في قوله تعالى :

---

[1]) أسلوب الدعوة في القرآن ، محمد حسين فضل الله ، ص ٨٢ وما بعدها ، دار الملاك – بيروت – ط السادسة ١٤١٨هـــ .

[فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى] {النَّازعات:١٨} [وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى] {النَّازعات:١٩} .

حيث إنها " عبارة فيها غاية الرِّفقة واللين ، فمع بيان الله عز وجل عن فرعون بأنه طغى ، لم يأذن في دعوته إلى دين الله بأن يُخاطب بجفاء وغلظة وعنف ، لما في هذا من التنفير ، مع أن المطلوب في الدعوة الإيناس والترفق واتخاذ الوسائل المحببة الجذابة للقلوب .

ولدى تحليل عبارة [فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى] {النَّازعات:١٨} [وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى] {النَّازعات:١٩} . نلاحظ أنها تشتمل على مقدمة طويلة فيها عرض غاية في الرفق ، بأسلوب الاستفهام ، لا بأسلوب الأمر .

كان من الممكن أن يقول : تَزَكَّ ، بصيغة أمر دون مقدمة . أو هل تتزكى ، على طريقة العرض بالاستفهام ، أو هل لك أن تتزكى ، بإضافة عبارة " لك " .

لكن العبارة جاءت مشتملة على مقدمة هي أطول ما يمكن من مقدمات في أسلوب عبارة عربية ، قبل الوصول إلى المطلوب في العرض ، فلفظ " هل " كلمة ، ولفظ " لك " كلمة ، ولفظ " إلى " كلمة ، ولفظ " أن " كلمة ، والمطلوب جاء بصيغة الفعل المضارع ، لا بصيغة فعل الأمر ؛ لأن الكلام مبني على العرض التخييري بأسلوب الاستفهام .

هذا النموذج التعليمي يُشعرنا بما يجب أن يُخاطب به الداعي إلى سبيل ربه ، ذوي السلطان أو المكانات الرفيعة في أقوامهم .

ويخطئ كثير من الدعاة إلى الله حين يواجهون المدعوين بما يجعلهم ينفرون من الأمر والنهي ، ومن الأساليب الجافية والخشنة ، التي لا لين فيها ولا رِفق .

ويجب أن يتخذ الناصحون والوعاظ والمرشدون أسلوب الرفق واللين ، ولو كانوا يُخاطبون عصاة المسلمين ، لأن هذا الأسلوب هو الأسلوب الأصلح لبلوغ المقصود ، من العنف والغلظة والمخاشنة في الخطاب " ([1]) .

ويقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله في صفات الداعية الواعظ : " الحلم وسعة الصدر ، والتواضع ، والصبر على الأذى ؛ فإن الجماعات التي استشرى فيها الفساد كالمريض ، والواعظ لها كالطبيب ، وكما أن المريض قد يدفعه جهله أو ألمه أو سوء تصرفه إلى أن ينال الطبيب ببعض السوء ، كذلك الجماعات التي أنهكها الشر ، قد يدفعها تغلغله في أحشائها ، وتمكنه من كيانها إلى أن تنال طبيب الأرواح ببعض الأذى ، وتتقدم إليه ببعض السوء ، فعلى الواعظ أن يلاحظ هذا ، وإذا كانت القلوب عنه معرضة ، والنفوس جامحة ، والأهواء متحكمة ، وناله من حدة السوء بعض الأذى ، فليعلم أن المهمة لديه شاقة ، ويستعد لجهود عظيم يبذله ، وليداو كلوم النفس بالهدوء وسعة الصدر والصبر ولين الجانب وخفض الجناح ، لأن تلك الصفات رُقية النفوس الشرسة ، وبلسم الجروح الغائرة ؛ وليعلم أنه ما وقف ليخاصمهم فيخصمهم ؛ ولكن ليداو فسادهم ، فليؤلف القلوب والنفوس الشاردة بتلك الصفات ، وقد قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم : [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ

---

[1]) فقه الدعوة إلى الله ، ٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] {آل عمران:١٥٩} ، فالرفق واللين والصفح قوام الدعوة لله ، والإرشاد إلى صالح الأعمال ، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالعفو بجوار أمره بالمعروف ، فقال تعالى : [خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ] {الأعراف:١٩٩} .

وعظ المأمون واعظ ، وعنف له في القول ؛ فقال له : يارجل ارفق ؛ فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق ، فقال تعالى : [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] {طه:٤٤} .

وروى أبو أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ . فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا . قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ([1]) .

انظر إلى ذلك الهدي النبوي الحكيم ؛ وإلى تلك الموعظة الحسنة التي

---

[1]) أحمد في المسند ، ٣٦ / ٥٤٥ ، رقم ٢٢٢١١ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ، ١ / ٣٤١ ، رقم ٥٤٣ .

تصيب شغاف القلوب فتسيرها بسيرها ، وتهديها بهديها ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة " ([1]) .

وقد مثل الشيخ البهي الخولي رحمه الله للقول اللين وأثره في الدعوة مثالا حسنا ؛ حيث قال : " واعلم أن مثل الداعية المؤمن القوي ، كمثل السيل المنحدر من شواهق الجبال .. فيه منه قوة الاندفاع ، وفيه منه للناس سر الانتفاع ، ولكن السيل لا يعجل إلى العقبات ، أو الهضاب فيمزقها ، بل يدور حولها ويحيط بأطرافها ، ويمضي إلى ما خلفها ، ويتركها معزولة عما عداها ثم يعلو ماؤه ويغزر فيضه ، فيرتفع على جوانبها بالتدريج ، حتى يغطى قممها ، ويخضع لسلطانه رؤوسها الشامخة ، فإذا كنت لم تفهم هذا المثل ، فرسالتك قد نزلت من السماء لا من الجبل ، وسر اندفاعها وانتفاعها في قلبك أنت لا في جهة أخرى .. وأنت الذي يجب أن تسبح بدعوتك في كل مكان فإذا صادفتك عقبة من قانون عتيد ، أو شخصية طاغية ، قلا تعرض لها بغير ما يعرض لها السيل ، ادعها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا تقف عندها ، فذلك خرق وجهل ، بل افعل ما يفعل السيل ، در حولها ، وامض في سبيلك إلى ما وراءها ، وادع الناس إلى جانبك ، حتى تغدو منعزلة عما عداها ، ويقنعها الواقع بقوة أمر الله أو يغيبها أمر الله عن الأنظار " ([2]) .

ومن مظاهر اللين في القول :

---

[1]) الخطابة ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

[2]) تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، ص ٢٥٣ ، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – ط الثامنة ١٣٠٨هـ – ١٩٨٧م .

(١) هدوء الداعية في خطابه مع المدعو

وقد تمثل ذلك جليا في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع سويد بن الصامت بن حوط ، عندما قدم مكة حاجا أو معتمرا .

قال ابن هشام رحمه الله : " فَتَصَدّى لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ سَمِعَ بِهِ ، فَدَعَاهُ إلَى اللّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ : فَلَعَلّ الّذِي مَعَك مِثْلُ الّذِي مَعِي ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : وَمَا الّذِي مَعَك ؟ قَالَ : مَجَلّةُ لُقْمَانَ – يَعْنِي حِكْمَةَ لُقْمَانَ – فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : اعْرِضْهَا عَلَيّ فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إنّ هَذَا لَكَلَامٌ حَسَنٌ وَالّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيّ هُوَ هُدًى وَنُورٌ ، فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقُرْآنَ وَدَعَاهُ إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ ، وَقَالَ : إنّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ . ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ ، فَإِنّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ إنّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ . وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ " ([1]) .

(٢) ذكر مناقب المدعو واستحسانها تأليفا لقلبه

وقد تجلى هذا الأمر واضحا في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بني كلب ، قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين ، أنه أتى كلبا في منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما

[1]) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ، ١ / ٤٢٥ ، تحقيق مصطفى السقا – إبراهيم الإبياري – عبد الحفيظ شلبي ، بدون .

عرض عليهم " ([1]) .

(٣) الرفق في الخطاب ([2]) .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقا في خطابه مع الناس جميعا بما فيهم اليهود ، فعندما دخل المدينة ، وكتب لهم الوثيقة ، كان رفيقا بهم برغم علمه بمكرهم وخداعهم وكيدهم ، وقد أمره الله تعالى بالرفق واللين في القول معهم ، وذلك في قوله تعالى : [قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] {آل عمران: ٦٤} .

وقد كان صلى الله عليه وسلم رفيقا في قوله وخطابه مع الملوك والرؤساء الذين بعث إليهم بالكتب والرسائل يدعوهم إلى الله تعالى ، " إن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم والذي يبدو واضحا في هذه الكتب يغلب عليه الرفق في القول ، وهذا الأسلوب ليس مقتصرا على كتبه التي بعثها يدعو الناس من خلالها إلى دين الله القويم ؛ بل كان عليه الصلاة والسلام رفيقا في الأمر كله ، يحب الرفق ويدعو إليه ويأمر أمته به .

لقد كان قولا رفيقا – بما تحمل هذه الكلمة من معنى – ذلك الذي تحدث به رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إلى تلك القبائل داعيا إياها إلى الدخول في الإسلام ، ومعلوم أن النفس البشرية تميل بطبعها وفطرتها إلى

---

[1]) السابق ، ١ / ٤٢٤ .

٢) قال ابن حجر : الرِّفْق بِكَسْرِ الرَّاء وَسُكُون الْفَاء بَعْدهَا قَاف هُوَ لِين الْجَانب بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل ، وَالْأَخْذ بِالْأَسْهَلِ ، وَهُوَ ضِدّ الْعُنْف. فتح الباري ، ١٠ / ٤٤٩ .

الخير ولين الجانب ، وتتجاوب معه تجاوبا جيدا ، وكان هذا هو ما حدث ، إذ استجاب بعض أولئك لأسلوب الرفق الذي لمسوه من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد كان لهذا الرفق أثره على أولئك الكفار عبدة الأصنام ؛ حيث حرك في نفوسهم كوامن الخير فأسرعوا ملبين نداء الحق ، فكانت نتائج هذا الأسلوب واضحة من خلال الترجمة العملية التي صدرت من أولئك الناس على كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانضوائهم تحت راية التوحيد " (١) .

وقد أكد على هذا الأمر الشيخ الميداني رحمه الله ، حيث قال : " على حامل الرسالة أن يتلطف ويرفق بمن يوجه له بعض مضامين رسالته ، وأن يكون حسن المجاملة والمعاملة بمكارم الأخلاق ، وأن يتحلى بالإغضاء عن السيئة التي توجه ضده ، وبالعفو والصفح ، وأن يكون هاشا باشا لا عبوسا قمطريرا ، وأن يكون همه الإصلاح والنصيحة ، لا التشهير بالناس والفضيحة " (٢) .

(٤) التودد في الخطاب والقول

إن من مقتضيات الرفق واللين في قول الداعية : إظهار التودد والملاينة في خطابه مع المدعو ، فعندما نتأمل قصص الدعوة في القرآن الكريم نجد التودد في الخطاب ظاهرا بكل وضوح في خطاب الأنبياء لأقوامهم ، فكانوا يبدأون خطابهم بقولهم " يا قوم " ، يقول تعالى عن نوح عليه السلام : [لَقَدْ

---

١) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٣٣٨ .

٢) فقه الدعوة إلى الله ، ١ / ٢٨٣ .

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] {الأعراف:٥٩} ، وقال عن إبراهيم عليه السلام : [يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا] {مريم:٤٤} ، وقد كان ذلك من أساليب التودد والملاينة في الخطاب .

(٥) مخاطبة المدعو بما يحب

إن من مظاهر اللين والرفق في قول الداعية وخطابه مع المدعو ، مخاطبة المدعو بما يحب من الأسماء والمناقب والكُنى ، وقد كانت هذه السمة ظاهرة في أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم عند دعوة الآخرين ، ومثال ذلك : خطابه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء ، حيث خاطب النجاشي بعظيم الحبشة ، والمقوقس بعظيم القبط ، وكسرى بعظيم فارس ، وهرقل بعظيم الروم .

" وفي هذا تقدير لمكانة أولئك الزعماء بين أقوامهم ، وإنزال الناس في منازلهم فيه إشارة للدعاة بأن يتزلوا الناس منازلهم ؛ لأن في ذلك تأثيرا نفسيا على المخاطب ، إذا ما نودى بما هو فيه من المكانة الاجتماعية أو القيادية ، وطبيعي أن إيضاح مقام المخاطب وتعيينه بمركزه في قومه ينتج عنه ارتياح لدى المخاطب ، وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم بعكس ما لو كان النداء خاليا من التقدير " ([1]) .

ولا يَخفى أن ترك الداعية اللين في القول يترتب عليه آثار سلبية كبيرة ، أعظمها عناد المدعو واستكباره واستمراره ، وعدم وصول الداعية إلى غايته .

---

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ باختصار .

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : " كنت قبل ثلاثين سنة معلما في مدرسة ابتدائية ، وكان معنا معلم شيخ قليل العلم كثير الادعاء ، يعرف من الإسلام أطرافا يظن بأنها الدين كله ، قُرع جرس الدرس مرة ، وكان أحد المعلمين عطشان فتناول كأس الماء ليشرب قبل أن يدخل الفصل ، فصرخ به صرخة جعلت حلقه يَشرق بالماء وكفه تسقط الكأس ، قال له : خالفت السنة ، شربت قائما ولم تُسَمِّ ، وشربت جرعة واحدة لا ثلاثا .

وكان جدال تحول إلى معركة ، دعت إليها شدة ذلك الشيخ وتركه المعروف عند الأمر بالمعروف " ([1]) .

وإذ أقول بوجوب اللين في قول الداعية وخطابه مع المدعو ، لا يعني ذلك أن يتخلى الداعية عن أسلوب التقريع والزجر والتهديد والوعيد والتحذير في قوله في بعض الأوقات ؛ إذ قد يلجأ الداعية إلى هذا الأسلوب في خطابه مع المدعو عندما تقتضي الضرورة ذلك ، فإذا أصر المدعو على عناده واستكباره وجحوده عندئذ يلجأ الداعية إلى هذا الأسلوب حتى ينتهي المدعو عن استكباره وعناده ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة الدعاة في ذلك .

فعندما أصر اليهود " على عداوة المسلمين والكيد لهم وكتمانهم الحق الذي جاء به سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، أخذ في تقريعهم وزجرهم ؛ وذلك لأنهم شرعوا في الدس للمسلمين منذ البداية ، وبدأ عليه الصلاة والسلام بهذا الأسلوب لعلهم ينتهون عما هم فيه من كتم

[1]) فصول في الدعوة والإصلاح ، الشيخ علي الطنطاوي ، ص ١٠٩ ، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية ، دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة – ط الأولى ٢٠٠٨م .

الحق وإلباسه بالباطل ، وكان في هذا زجر لهم وتقريع حيث تنزلت الآيات البينات بهذا الأسلوب التقريعي الزجري ، قال تعالى : أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) . سورة البقرة " ([1]) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في غاية اللطف واللين والرفق والتودد في دعوة اليهود ، حتى تآمروا على الدعوة ، ودسوا المكائد لها ، واستكبروا على الدخول في الإسلام ، عندئذ هددهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن مصيرهم مصير المشركين في غزوة بدر الكبرى ، حيث قال لهم : " يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم " .

ونزل القرآن الكريم يؤكد التهديد والوعيد في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في قوله تعالى : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) . سورة آل عمران .

" وهذا الأسلوب يدفع بالمخاطب إلى النظر في الموضوع بجدية واهتمام ،

---

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٢٩٩ .

ويدفعه إلى السرعة في الرد وأخذ الأمر مأخذ الجد ، ويعطيه الفرصة وحرية الاختيار بين أمرين ، وهذا الأسلوب من الوضوح بمكان بحيث لا يترك لأولئك المخاطبين فرصة للتباطؤ في الرد ، أو عدم الاهتمام بالموضوع ، فإن من أراد السلامة فعليه بالإسلام والتظلل براية سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وهي راية التوحيد لله رب العالمين " ([1]) .

ومما سبق تظهر أهمية اللين في قول الداعية ، وأثر ذلك على الدعوة ، ومن ثم أنتقل إلى الحديث عن القول السديد وأثره في الدعوة ، وذلك في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى .

[1]) السابق ، ص ٣٤٢ باختصار .

المبحث الخامس :
القول السديد وأثره في الدعوة

أولا : القول السديد في القرآن

تحدث القرآن الكريم عن القول السديد(١)، واعتبره من أهم أوصاف القول المذكورة فيه ، وبيان ذلك على النحو التالي :

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا القول السديد مطلقا ، وذلك في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] الأحزاب :٧٠ .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " يَقُول تَعَالَى آمِرًا عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ عِبَادَة مَنْ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَأَنْ يَقُولُوا" قَوْلًا سَدِيدًا " أَيْ مُسْتَقِيمًا لَا اِعْوِجَاج فِيهِ وَلَا اِنْحِرَاف ، وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَثَابَهُمْ عَلَيْهِ ؛ بِأَنْ يُصْلِح لَهُمْ أَعْمَالهمْ أَيْ يُوَفِّقهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَة ، وَأَنْ يَغْفِر لَهُمْ الذُّنُوب الْمَاضِيَة ، وَمَا قَدْ يَقَع مِنْهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَل يُلْهِمهُمْ التَّوْبَة مِنْهَا .

---

(١) قال ابن فارس : " السين والدال أصل واحد، وهو يدلُّ على ردم شيء ومُلاءَمته ، من ذلك سدَدت الثُّلمة سدًّا . وكلُّ حاجزٍ بين الشيئين سَدٌّ . ومن ذلك السَّديد ، ذُو السَّداد ، أي الاستقامة ؛ كأنّه لا ثُلْمة فيه . والصَّواب أيضاً سَداد . يقال : قلتُ سَدَاداً . وسَدَّدَهُ الله عزَّ وجلَّ . ويقال أسَدَّ الرجلُ ، إذا قال السَّداد " . معجم مقاييس اللغة ، ٣ / ٦٦ . وقال الجوهري : " التسديد : التوفيق للسداد ، وهو الصواب والقصد من القول والعمل . ورجل مسدد ، إذا كان يعمل بالسداد والقصد . والمسدد : المقوم . وسدد رمحه ، وهو خلاف قولك : عرضه . وسد قوله يسد بالكسر، أي صار سديدا. وإنه ليسد في القول فهو مسد ، إذا كان يصيب السداد ، أي القصد " . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ٢ / ٤٨٥ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٤٠٧ ١٩٨٧٥ م . وجاء في المعجم الوسيط أن السداد في القول هو : " الاستقامة والقصد والصواب من القول والفعل " . المعجم الوسيط ، ١ / ٤٢٢ .

قَالَ عِكْرِمَة : الْقَوْل السَّدِيد لَا إِلَه إِلَّا اللَّه ، وَقَالَ غَيْره : السَّدِيد الصِّدْق ، وَقَالَ مُجَاهِد : هُوَ السَّدَاد ، وَقَالَ غَيْره : هُوَ الصَّوَاب وَالْكُلّ حَقّ " (١) .

وقال الفخر الرازي – رحمه الله – : " ثم قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } . أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأفعال والأقوال ، أما الأفعال فالخير ، وأما الأقوال فالحق ؛ لأن من أتى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله ، ومن قال الصدق قال قولاً سديداً ، ثم وعدهم على الأمرين بأمرين : على الخيرات بإصلاح الأعمال ، فإن بتقوى الله يصلح العمل ، والعمل الصالح يرفع ويبقى فيبقى فاعله خالداً في الجنة ، وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب " (٢).

ويقول الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – : " والقول : الكلام الذي يصدر من فم الإنسان يعبر عما في نفسه . والسديد : الذي يوافق السداد . والسداد : الصواب والحقُ ومنه تسديد السهم نحو الرمية ، أي عدم العدول به عن سمْتها بحيث إذا اندفع أصابها ، فشمل القولُ السديد الأقوال الواجبة والأقوال الصالحة النافعة ، مثل ابتداء السلام ، وقول المؤمن للمؤمن الذي يحبّه : إني أحبك .

ويشمل القولُ السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء ، وما هو تبليغ لإرشاد غيره من مأثور أقوال الأنبياء

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ١١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) مفاتيح الغيب ، ٢٥ / ١٩٠ .

والعلماء . فقراءة القرآن على الناس من القول السديد ، ورواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من القول السديد ، وكذلك نشر أقوال الصحابة والحكماء وأيمة الفقه . ومن القول السديد تمجيد الله والثناء عليه مثل التسبيح . ومن القول السديد الأذان والإقامةُ قال تعالى : {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} في سورة فاطر [١٠] . فبالقول السديد تشيع الفضائل والحقائق بين الناس فيرغبون في التخلق بها ، وبالقول السيّئ تشيع الضلالات والتمويهات فيغتر الناس بها ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً . والقول السديد يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولما في التقوى والقولِ السديد من وسائل الصلاح جُعل للآتي بهما جزاءٌ بإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب . وهو نشر على عكس اللف ، فإصلاح الأعمال جزاء على القول السديد ؛ لأن أكثر ما يفيده القول السديد إرشاد الناس إلى الصلاح ، أو اقتداء الناس بصاحب القول السديد " (١) .

وجدير بالذكر أن الله تعالى أمر بالقول السديد – أيضا – الرجل الذي يَحضُر رجلا تَحضُره الوفاةُ ويوصي بوصية تَضر بورثته فينصحه ويوفقه ويسدده للصواب ، وهو العدل في الوصية.

قال تعالى : [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] النساء:٩ .

" قَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس : هَذَا فِي الرَّجُل يَحْضُرهُ الْمَوْت فَيَسْمَعهُ رَجُل يُوصِي بِوَصِيَّةٍ تَضُرّ بِوَرَثَتِهِ ، فَأَمَرَ اللَّه تَعَالَى الَّذِي يَسْمَعهُ أَنْ يَتَّقِي اللَّه وَيُوَفِّقهُ وَيُسَدِّدهُ لِلصَّوَابِ ، فَيَنْظُر لِوَرَثَتِهِ كَمَا كَانَ

(١) التحرير والتنوير ، ٢٢ / ١٢١ وما بعدها .

يُحِبّ أَنْ يُصْنَع بِوَرَثَتِهِ إِذَا خَشِيَ عَلَيْهِمْ الضَّيْعَة " (١) .

وقال الفخر الرازي – رحمه الله – : " ثم قال : { فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا } . وليقولوا قولا سديدا إذا أرادوا بعث غيرهم على فعل وعمل ، والقول السديد هو العدل والصواب من القول " (٢) .

ثانيا : أثر القول السديد في الدعوة

استقامة الداعية في قوله وفعله ، والتزامه قول الحق والقصد فيه يحقق للدعوة الإسلامية مكاسب متعددة ومثمرة ، وإذا تخلى الداعية عن ذلك كله أضر بالدعوة الإسلامية ، وألحق بها ما ينفر المدعوين عنها ، ومن بين هذه الآثار الإيجابية ما يلي :

(١) ثقة المدعو في الداعية

يثق المدعو بالداعية عندما يراه يقول الحق والصواب ، ويبتعد عن الاعوجاج والباطل ، ولا يوفق الداعية إلى السداد في الرأي والإصابة فيه إلا بكثرة العلم والإدراك والإحاطة ، يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله عن الخطيب الداعية : " فأما سداد الرأي ، فيكون بدراسته دراسة تامة للموضوع الذي يخطب فيه ؛ فإن الرأي المحكم لا يكون إلا بدراسة عميقة ، وإحاطة تامة ، واطلاع واسع ، وعلم غزير ، وفكر قويم ، وليس معنى ذلك أن لا يخطب إلا إذا كان محضرا ، مهيئا للكلام ، بل المراد ألا يتكلم إلا في موضوع سبقت له دراسته ، والإحاطة به ، حتى يكون كلامه مسددا ، سواء أكان يلقي الخطبة بعد تهيئة ، أم يلقي الكلام ارتجالا من غير سابقة

---

١) تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٣٦٣ .

٢) مفاتيح الغيب ، ٩ / ٥٠٥ .

تحضير ، فإن المرتجل لا يحسن ارتجاله في كل الأحوال ، بل لا يحسن إلا إذا ألقى كلاما قيما فيه آراء محكمة ، ولا يتم ذلك ، إلا إذا كانت له سابقة اطلاع على ذلك الموضوع ، أو ما له علاقة تمكنه من أن يدلي فيه برأي قيم له شأن ؛ فعلى الخطيب ألا يخوض في حديث ليس به علم ؛ حتى لا يشط ، فيبدي رأيا فطيرا ، والرأي الفطير مبتسر لا ينال الحق من كل نواحيه ، وقد يكون مع الحق على طرفي نقيض ، ومما يساعد على تكوين الرأي الناضج بعد الدراسة التامة : سلامة الفكر من هم قاطع وغم شاغل ؛ لأن من شغل بالهم لا يخلص له رأي ولا فكر ، وقد قال الغزالي : إن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأي ، ولا يستقيم له خاطر ، وقال بشر بن المعتمر في وصاياه للخطيب : خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغزة ، من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، فصفاء الذهن وصحوه لهما أثرهما في إحكام الرأي وإجادة اللفظ .

من هذا علمت في الجملة كيف يتهيأ للخطيب رأي سديد في الموضوع الذي يخطب فيه ، ثم اعلم أن سداد الرأي دعامة الخطب الأولى ؛ لكي يثق الجمهور بفكره ، ويتجه إلى رأيه ، [ومن ثم وجب] على الخطيب أن يدرس الفكرة التي يدعو إليها وأن يحيط بها خبرا ، وأن تكون الجماعة واثقة به ، مطمئنة إليه معتقدة أن ما يقول هو الحق المبين ، والمظاهر التي ترى الناس أن الأمر حق كثيرة منها : (١) أن يورد الأمر في صيغة جليلة واضحة قريبة من أفهامهم ؛ مصورة لهم بصور تثير خيالهم ، وتوضح لهم المبهم ، (٢)

وأن يورد الأدلة التي يراها موجدة للجزم في نفوسهم ، وإن لم توجد الجـــزم في ذاتها ، (٣) وأن يجتهد في استدراك ما عساه يرد عليه من اعتراض قبـــل إيراده " ([1]) .

ومن ثم أستطيع القول أنه إذا فقد الداعية العلم والإحاطة فقـــد ســـداد القول وصوابه ، وإذا فقد سداد القول وصوابه فقد التأثير في المدعوين .

(٢) علاج الأمراض المجتمعية الواقعية

ومن أثار السداد في القول علاج الأمراض المجتمعية ، ومراعاة مقتضى الحال فيها ، حيث إن أفضل الخطب الدينية ما كان مطابقا لمقتضى الحـــال ملائما لما تدعو إليه حاجة السامعين ، وأن من أحب أن يكون نصحه نافعا ، وإرشاده مفيدا ، وخطابه سديدا فلينظر إلى المنكرات الفاشـــية في النـــاس والأمراض النفسية المنتشرة فيهم والحوادث الحاضرة الحديثة العهـــد بهـــم وليجعل شيئا منها على حدة موضوع خطابته ، ثم يحصي ما في ذلـــك مـــن الأضرار المالية والبدنية والخلقية والاجتماعية ويعدها واحدا واحدا في ذهنه ويدونها بقلمه ، ثم يستحضر ما جاء في الموضوع مـــن الآيـــات الكريمـــة والأحاديث الصحيحة وآثار السلف وأقوال الحكماء مجيدا فهـــم ذلـــك ، شارحا منه ما تمس الحاجة إلى شرحه ، ثم يشرع في تدوين الخطبـــة إذا أراد ذلك مضمنا لها آثار هذا المنكر وما جاء فيه عن الشريعة الغراء مراعيـــا في أسلوب الخطبة ما يلاءم عقول السامعين .

هذا إذا اقتضى الحال الترهيب من سيئة أو التنفير من نقيصة ، وليفعـــل ذلك أيضا إذا دعت الحاجة إلى الترغيب في نوع من أنواع البر أو التحلـــي

---

[1]) الخطابة ، ٤٩ ، ٥٠ باختصار .

بفضيلة ([1]) .

(٣) استمالة قلب المدعو

وذلك بذكر القواسم المشتركة بين الداعية والمدعو ؛ تأليفا لقلب المدعو أو تخفيفا من حدة معارضته للدعوة ، وقد ظهرت هذه السمة أيضا في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الناس ؛ حيث أكد على هذا الأمر في دعوته الملوك والرؤساء وقتذاك ، " لقد أكدت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مواطن اللقاء بين هذا الدين العظيم والأمم الأخرى ذات الدين – كالنصارى مثلا – حيث أكدت تلك الرسائل على وحدانية الحق تبارك وتعالى ، وعلى أن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وأن البتول طاهرة تقية نقية ، وهذا ثابت وواضح عندهم في كتبهم – رغم تحريفها – أن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وهذا الأسلوب الذي ظهر من خلال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعد في التخفيف من حدة معارضتهم لتلك الكتب ، لما يرون في أنفسهم من عظمة وعلو على الناس ، وأنه لا يحق لأحد أن يكلمهم ظنا منهم أنهم من طينة أخرى غير تلك التي خلق الناس منها ، فهم ملوك وعظماء ، يأمرون فيطاعون ، ويطلبون وبسرعة يستجاب لهم ، وهذا الأسلوب اكتسب به الرسول صلى الله عليه وسلم عواطفهم ، وجعلهم يفكرون جديا بأن هذا القول لا يمكن أن يعرفه إلا رسول ، كقوله صلى الله عليه وسلم للنجاشي : أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس

([1]) فن الخطابة ، ص ١١٢ ، ١١٣ بتصرف .

السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة " ([1]) .

(٤) ظهور حكمة الداعية في الدعوة

حيث إن من معاني الحكمة في اللغة " صواب القول وسداده " ، وقد أمر الله تعالى الدعاة بالحكمة في الدعوة ، قال تعالى : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] {النحل:١٢٥} .

و" الذي يبدو لنا في مفهوم هذه الكلمة أنها تعبر عن طبيعة أسلوب الدعوة وضرورة اتصافه بالحكمة وسلوكه طريقها ، فكأن الآية محاولة للإرشاد إلى طريقة الدعوة العملية في هداية الناس وإرشادهم وكسب أكبر عدد ممكن منهم إلى صف الدين والعقيدة ، وللإشارة إلى الحقيقة المجردة العارية ، والواقع البسيط المجرد لا يمكن إلقاؤهما إلى الناس دون مقدمات ، ودون ملاحظة للظروف ودراسة لجو العمل ومجالاته .

وعلى ضوء هذا فالمراد بالحكمة هو السير على الطريقة الواقعية ، ونعني بها تلك التي تلاحظ الواقع الخارجي للمجتمع الذي تعيش فيه ، وتدرس ظروفه العقلية والفكرية والنفسية والاجتماعية ، وتضع كل ذلك في حسابها قبل بداية العمل .

وإذا ربطناه بالدعوة فسنجد أنها محاولة لتنبيه الدعاة إلى الله إلى أن لا يكون الأسلوب المتبع لديهم في العمل واحدا من حيث النوع ، بل لابد أن

---

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٤٠٣ .

يختلف حسب اختلاف الواقع الذي تعيشه الدعوة ويعيش فيه الدين ، فإن من الواضح أن الدعوة لن تكون عملية إذا حاولت أن تساوي بين الجاهل والمثقف في طبيعة الفكرة التي تلقى ، والأسلوب الذي يتبع ، فإن الأدوات التعبيرية والفكرية التي يملكها كل منهما تختلف عما يملكه الآخر ، وأيضا فقد يقتضي بعض المواقف الجو الحماسي والاندفاعي الصرف ، بينما يقتضي البعض الآخر لجو الهادئ المتزن الذي يتيح للفكر أن ينطلق ، وللروح أن تطمئن ، وللإنسان أن يفكر بهدوء .

وقد يدفعنا الجو – في بعض الحالات – إلى عرض الفكرة للمخاطب بكامل تفاصيلها ، بينما يدفعنا في حالات أخرى إلى الاكتفاء بعرض الخطوط الرئيسية فقط ، تاركين للمستقبل تفاصيل وضع النقاط على الحروف .

ذلك ما نفهمه من الحكمة هنا ، والذي قد يلتقي مع لفظ " المرونة " في كثير من مدلولاتها ، لأنها تقتضي عدم انتهاج الداعية أسلوبا واحدا لا يتعداه في مجالات العمل ، بل لابد له من أن يكون مرنا يلاحظ طبيعة الجو وطبيعة الموقف وطبيعة الإنسان المخاطب " ([1]) .

" والحكمة كأسلوب ووصف للكلمة التي تنقل الدعوة ، هي أسلوب يؤدي به الداعية رسالته ، دون فضل يتحدث به أو شهوة في شهرة يعرف بها ، وليس له منة على الدعوة ، بل الله يمن عليه أن هداه إلى الإيمان.

إن النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي ينبغي أن يستخدمه الداعية كل مرة في تبليغ رسالته ، بحيث لا يثقل ولا يشق بالتكاليف قبل أن تستعد النفوس للتحمل الشامل للدعوة ، وطريقة المخاطبة

[1]) أسلوب الدعوة في القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

والتنويع في الأسلوب حسب مقتضيات الأحوال – هو الحكمة التي تريدها الدعوة في العصر الحديث كبديل للحماس المتزايد والاندفاع الملتهب الذي يتجاوز حدود الحكمة فيضر الدعوة على السواء .

وهي – في أدق موازينها – العيش في الجـــو القرآني والهـــدي النبـــوي الكريم " ([1]) .

ومما سبق يظهر أثر القول السديد في الدعوة إلى الله تعالى ، وأنتقـــل إلى الحديث عن القول الحسن والأحسن وأثرهما في الدعوة ، وذلك في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى.

[1]) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، ص ٢٨٤ .

المبحث السادس :
القول الحسن والأحسن وأثرهما في الدعوة

أولا : القول الحسن والأحسن في القرآن الكريم

القول الحسن والأحسن من أوصاف القول التي ذكرها القرآن الكريم ، وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – به المؤمنين عامة والدعاة خاصة ، وفي دعوة غير المسلمين بشكل أخص ، وبيان ذلك على النحو التالي :

قال تعالى : [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ] {البقرة:٨٣} .

يقول ابن كثير رحمه الله : " وَقَوْله تَعَالَى " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " . أَيْ كَلِّمُوهُمْ طَيِّبًا ، وَلَيِّنُوا لَهُمْ جَانِبًا ، وَيَدْخُل فِي ذَلِكَ الْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر بِالْمَعْرُوفِ ، كَمَا قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ فِي قَوْله تَعَالَى " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" . فَالْحَسَن مِنْ الْقَوْل يَأْمُر بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَر ، وَيَحْلُم ، وَيَعْفُو ، وَيَصْفَح ، وَيَقُول لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللَّه ، وَهُوَ كُلّ خُلُق حَسَن رَضِيَهُ اللَّه " (١) .

وقال الفخر الرازي – رحمه الله – : " قرأ حمزة والكسائي : (حسناً) بفتح الحاء والسين على معنى الوصف للقول ، كأنه قال : قولوا للناس قولاً حسناً ، والباقون بضم الحاء وسكون السين ، واستشهدوا بقوله تعالى : {وَوَصَّيْنَا الانسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا } (العنكبوت : ٨) وبقوله : {ثُمَّ بَدَّلَ

---

١) تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

حُسْنَا بَعْدَ سُواءٍ} (النحل : ١١) وفيه أوجه ، الأول : قال الأخفش : معناه قولاً ذا حسن . الثاني : يجوز أن يكون حسناً في موضع حسناً كما تقول : رجل عدل . الثالث : أن يكون معنى قوله : {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} أي ليحسن قولكم ، نصب على مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام الأول . الرابع : حسناً أي قول هو حسن في نفسه لإفراط حسنه " (١) .

وقد تحدث القرآن الكريم في موطن آخر عن القول الأحسن ، وأمر به عباده المؤمنين ، والأحسن هو البالغ الغاية في الحسن والطيب والجمال .

قال تعالى : [وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا] {الإسراء:٥٣}

قال الفخر الرازي : " اعلم أن قوله : {قُل لِّعِبَادِىَ} فيه قولان : القول الأول : أن المراد به المؤمنون ، وذلك لأن لفظ العباد في أكثر آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى : {فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ} (الزمر : ١٧ ، ١٨) وقال : {فَادْخُلِى فِى عِبَادِى} (الفجر : ٢٩) وقال : {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّهِ} (الإنسان : ٦).

إذا عرفت هذا فنقول : إنه تعالى لما ذكر الحجة اليقينية في إبطال الشرك وهو قوله : {لَّوْ كَانَ مَعَه ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا ابْتَغَوْا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلا} (الإسراء : ٤٢) وذكر الحجة اليقينية في صحة المعاد وهو قوله : {قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } (الإسراء : ٥١) قال في هذه الآية : وقل يا محمد لعبادي إذا أردتم إيراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن . وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطاً بالشتم والسب ،

---

(١) مفاتيح الغيب ، ١ / ٥٠٣ .

ونظير هذه الآية قوله : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } (النحل : ١٢٥) . وقوله : {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (العنكبوت : ٤٦) . وذلك لأن ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب والشتم لقابلوكم بمثله كما قال : {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوَا بِغَيْرِ عِلْمٍ } (الأنعام : ١٠٨) . ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثّر في القلب تأثيراً شديداً فهذا هو المراد من قوله : {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } " (١) .

وقال ابن عاشور : " ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبيء عن ضلال اعتقادٍ ، نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالاً تعرب عن حسن النية وعن نفوس زكية . وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي يقولوا التي هي أحسن .

والتي هي أحسن (صفة لمحذوف يدل عليه فعل) يقولوا . تقديره : بالتي هي أحسن . وليس المراد مقالة واحدة .

واسم التفضيل مستعمل في قوة الحسن . ونظيره قوله : (وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل : ١٢٥) ، أي بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن ، فإن المجادلة لا تكون بكلمة واحدة .

فهذه الآية شديدة الاتصال بالتي قبلها وليست بحاجة إلى تطلب سبب لنزولها . وهذا تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه .

---

(١) السابق ، ١٢ / ٣٥٦ .

والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة وإلانةِ القول ، لأن القول ينم عن المقاصد ، بقرينة قوله : إن الشيطان ينزغ بينهم . ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتناباً لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم ، قال تعالى : [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] {فصِّلت:٣٤} . والمسلمون في مكة يومئذٍ طائفة قليلة وقد صرف الله عنهم ضُر أعدائهم بتصاريف من لطفه ليكونوا آمنين ، فأمرهم أن لا يكونوا سبباً في إفساد تلك الحالة .

والمراد بقوله : لعبادي ، المؤمنون كما هو المعروف من اصطلاح القرآن في هذا العنوان . وروى أن قول التي هي أحسن أن يقولوا للمشركين : يهديكم الله ، يرحمكم الله ، أي بالإيمان . وعن الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقول والفعل ، فشكَوا ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله هذه الآية " (١) .

ثانيا : أثر القول الحسن والأحسن في الدعوة

القول الحسن أمر الله به الداعية في عظته للمدعو ؛ قال تعالى : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

(١) التحرير والتنوير ، ١٥ / ١٣١ ، ١٣٢ .

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] {النحل:١٢٥} . ([1])

والمقصود بالموعظة الحسنة هنا " طريقة التبليغ ، وأسلوب في الدعوة يحببها ولا ينفر عنها ، يُقرّب إليها ولا يُبعّد عنها ، ييسرها ولا يعسرها ، وأخيرا – لا آخرا – هو الأسلوب الذي يشعر المخاطب أن دورك – الداعية – معه دور الرفيق به والناصح له ، الباحث عما ينفعه ويسعده .

إنها التي تدخل القلوب برفق ، وتتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب ..

ونزيد على ذلك أن اللطف والرفق واللين – في مقام الدعوة – يُشعر الإنسان بإنسانيته ، ويوحي له – بطريقة عفوية – أنه أمام دعوة تفيض بالحب والحنان والحياة النابضة بالروح الإيماني الخيّر " ([2]) .

والموعظة الحسنة " هي في الحقيقة أسلوب من أساليب الدعوة التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان لها عظيم الأثر في نفوس أولئك المدعوين .

والنفس البشرية تواقة إلى سماع الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والتذكير بما سوف يؤول إليه الإنسان من حال الموت ثم البعث ثم الحساب ،

---

[1]) الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب . لسان العرب ، والموعظة ما يوعظ به من قول أو فعل . الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٤٩٠ .

[2]) أسلوب الدعوة في القرآن ، ص ٥٧ .

وجنة عرضها السموات والأرض ، أو نارا تلظى .

والداعية المسلم إن أراد أن ينجح في دعوته ويحقق ما يرجوه ، عليه أن يقف على ما سلكه سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم في دعوته ، فلا شك أن سلوك الداعية هذا المسلك فيه طاعة لله سبحانه وتعالى ، لأنه أمر عباده بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضمانا للدعوة ، وأعني بذلك أن تصل إلى تحقيق أهدافها بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بطريقة محببه للنفس ، بعيدا عن الغلظة والشدة والقسوة ، وذلك لأن الموعظة تداعب النفس ، وتحرك القلوب ، وتؤثر على الجوارح ؛ لأن القول الطيب له تأثير كبير على النفس البشرية ، لأن وقع الكلمة الطيبة على النفس الإنسانية ينتج عنه سرعة الاستجابة " ([1]) .

والقول الحسن يؤثر في نفس المدعو ، حتى ولو كان مشركا بالله تعالى ، وهذا ما أكده موقف النبي صلى الله عليه وسلم من عتبة بن ربيعة ، عندما أتاه الأخير يعرض عليه التخلي عن دعوته ، والتبرؤ مما يقول ، فما كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن رد عليه بكلام طيب وقول حسن ، يتجلى في قراءة بعض آيات القرآن الكريم من أوائل سورة فصلت بهدوء نفس وأريحية ضمير ([2]) .

ويتمثل الأثر الإيجابي للقول الحسن مع المدعو في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ([3]) .

---

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ باختصار .

٢) يراجع : السيرة النبوية ، ابن هشام ، ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٣) يراجع : السيرة النبوية ، ابن هشام ، ١ / ٣٨٢ .

يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله عن التعبير وحسنه في خطاب الداعية : " وهو تصوير المعاني بالألفاظ ، وشأنه في الخطابة عظيم لأنه كساء الكلام ، به تنال الخطبة رونقها وبهاءها كالثوب يزين لابسه ويكسبه حسنا وجمالا ، فإذا لم يراع الخطيب حسن التعبير فلا أثر له في إرادة السامع ولا سلطان له على قلبه ، بل تبقى عواطفه نائمة لا حراك لها فلا يندفع إلى العمل بما يقصده منه " ([1]) .

وقال أيضا : " واعلم أن حسن الكلام ما كان قليله يغني عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد كساه من الجلالة وغشاوة من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه والاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة ، وقد قال عامر بن عبد القيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان " ([2]) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة الدعاة في القول الحسن – وكتبه ورسائله للملوك وال رؤساء شاهدة على ذلك – " لقد كانت ألفاظ كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنة لم تتضمن فحشا في القول أو

---

[1]) فن الخطابة وإعداد الخطيب ، الشيخ علي محفوظ ، ص ٥٩ ، دار الاعتصام ، بدون .

[2]) نفس المرجع ، ص ٦٨ .

استعلاء على من أرسلت إليهم ، أو كبرياء تنطلق من أنه يدعو إلى حق ويأمر بخير ويعمل على إنقاذهم مما هم فيه من الكفر والطغيان ، وحاشا أن يكون ذلك ممن بعثه الله رحمة للعالمين ، انظر إلى هذه العبارة التي تضمنها كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوذة الحنفي " أسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يدك " ، والعبارة الأخرى التي تصدرت معظم الكتب المرسلة " سلام على من اتبع الهدى " .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يخاطب النفس البشرية في صفائها الذي لم يختلط به ما يشوبها ، فكانت هذه النفس سريعة الاستجابة ، طائعة مختارة ، لأن اللفظ الحسن يعمل في النفس البشرية الشيء الكثير ، يؤثر فيها فتتفاعل معه وتهفو إليه ، وينتج عن ذلك التلاقي والائتلاف ، بعكس اللفظ غير الحسن أو السيئ فإنه يؤدي إلى خير ولا يجنى منه فائدة ، بل يعود على صاحبه بالسوء والخسارة ، فتنفر منه النفوس ، وتشمئز منه القلوب ، وتنبذه العقول .

لقد كانت ألفاظ كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُسن ما سحرت به أرباب أولئك الناس وأثرت في نفوسهم واستحوذت على عقولهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : وإن من البيان سحرا " ([1]) .

وعن أثر القول الحسن في نفس المدعوين يقول الدكتور رؤف شلبي رحمه الله : " طبيعة الكلمة العاطفية هي التي تدخل إلى القلوب برفق وأناة وهدوء ، فتلطف من حرارة الصدر ، وتعمق المشاعر بلطف ، وتنعش

[1]) الأسلوب النبوي في الدعوة ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

الوجدان في تؤده وتدفع إلى استشعار روحانية الدعوة ، فهي ترطيب لفكر الثائر ، وحل لعقد التقاليد الصعبة ، وإنقاذ من حيرة لا شعورية موهومة وطمأنينة تسكن ثورة الجموح ، وكثيرا ما هديت القلوب الشاردة بالموعظة الحسنة ، وإنها – مع الطبائع الخيرة – أفضل من الزجر والتأنيب والتوبيخ والتجريح .

ولهذا أشاد القرآن الكريم بالموعظة الحسنة ، كأسلوب ووصف لنوع الكلمة التي يستخدمها الداعية في تبليغ الدعوة ؛ لأنها تتلاءم مع طابع الحياء والشهامة التي يتحلى بها الإنسان غالبا.

ولقد كان من نفحاتها : إسلام عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، فقد أرجعتهم إلى صوابهم حسنات المسلمين ، فانقلبت ضراوتهم على الإسلام له تحمسا وانتصارا ، وفتح الله بهما للمسلمين فتحا كريما .

وما أحوج الدعاة – في هذا العصر – إلى الموعظة الحسنة : وخاصة في المجتمعات البدائية التي لا تحتاج في نشر الإسلام إلى أكثر من السلوك الطيب والكلمة الطيبة والمعاملة بالمعروف " ([1]) .

ومن مقتضيات حُسن القول والخطاب مع المدعو ما يلي :

– المجادلة بالتي هي أحسن ، وهذا أمر الله تعالى للداعية أن يجادل خصوم الدعوة بالتي هي أحسن ، قال تعالى : [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ] {النحل:١٢٥} .

[1]) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، ص ٢٨٤ وما بعدها باختصار .

يقول أحد الباحثين : " أما الفقرة الثانية ، وهو قوله تعالى : " وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ، فقد نستطيع اعتبارها بمثابة الإرشاد إلى الطرق التي يواجه بها الداعية المسلم رد الفعل الذي تثيره الدعوة لدى المخاطب .

فقد حسب القرآن الكريم حساب الكفار وأتباع العقائد اللاإسلامية ، وعرف أن الداعية سيصطدم بهم ، نتيجة اصطدامهم به ، بسبب اختلاف أفكارهم مع دعوته ، واتجاه الدعوة الإيجابي ضد معتقداتهم ، لأنها جاءت لتحطيم تلك المعتقدات ، وهدم تلك الأفكار ، لقد حسب القرآن حساب ذلك كله ، وعرف النتيجة التي سينتهي إليها الداعية معهم لو ترك وطبيعته ، فقد يكون لأسلوبهم أن يثيره ، ويثر فيه طبيعة الثأر لعقيدته ، بالأساليب المألوفة في هذا المجال ؛ وهنا لا تربح الدعوة إلا مزيدا من المشاكل ومزيدا من عوامل الإثارة العاطفية التي هي في غنى عنها ..

ومن هنا اتجهت محاولة القرآن إلى هذه الناحية ، لدى الداعية ، فحاول أن يروّض نفسه ، ويوسع آفاقه ، فيخرجه من نطاق ذاته إلى نطاق الحقيقة الواسعة ، ويبتعد به عن طبيعة الكبرياء الكاذب الذي يضرب في داخله عندما تهاجم ذاته ، ليأخذ بيده إلى طبيعة التسامح ومراعاة ظروف الآخرين ، وملاحظة واقعهم النفسي والعقلي .

إنه يحاول أن يلقي في روع الداعية أن مهاجمة دعوته من قبل خصومها أمر طبيعي جدا ، ينبغي أن تتقبله كما تتقبل الأمور الطبيعية التي نعيشها في حياتنا ، وإن وظيفته – كداعية – أن يكسب هؤلاء الخصوم إلى صف الدعوة ، ويقربهم إلى عقيدتها ، ويربح فكرهم وإيمانهم ، لا أن يحطّمهم

ويقتلهم ويغلبهم ، فليست مهمة الداعية هي مهمة الإنسان الذي ينشد الغلبة على خصمه ، لإشباع غريزة العظمة في ذاته ، بل هي مهمة الإنسان الذي يمارس دور إنسانيته ، وذلك بإعانة خصمه على التحرر من رواسبه ، والأخذ بيده نحو هذا السبيل ، ليصبح صديقا له رفيقا له في رحلة الدعوة إلى الله ..

وبهذا كان الجدل بالتي هي أحسن يمثّل الطريقة العملية المثلى للوصول إلى ذلك الهدف وبلوغ الغاية ، فإننا نلاحظ أن الطرق الجدلية التي تعتمد على التماس نقاط الضعف عند المخالف ، وتوجيه الضربات المتلاحقة إليه بوحي تلك النقاط ، ولإثارة أعصابه بالأساليب العنيفة المنافية لاحترام ذاته وفكره .. إننا نلاحظ أن هذه الطرق التي يواجهها الطرف المقابل – وهو لاهث – لا تملك أن تقدم للعقيدة – أي عقيدة كانت – مؤمنا يعيش الإيمان بروحه وعقله ، وذلك لأن هذه الطرق تهاجم كبرياء الإنسان وكرامته في الصميم ؛ فهي توحي إليه بأنه يقف موقف المغلوب في فكرته وعقيدته ، وفي موقف المهزوم في ميدان الصراع المهزوم الذي يشعر بأنه لا يستطيع ربح المعركة ، ولكنه لا يقتنع بأن الحق في جانب مقابله ؛ ومن الطبيعي جدا أن يتغلب كبرياء الإنسان وعناده في كثير من الأحيان على رغبته في الوصول إلى الحق ، وهنا لا يملك الموقف إلا أن يقدم لنا مزيدا من المناقشات اللفظية والهامشية التي لا تقدم ولا تؤخر شيئا في الموضوع .

ولذلك – وبوحي من شعورنا بعقم الطريقة السابقة – نجد أنه لابد لنا من طريقة تُشعر المخاطَب أنك وإياه رفيقان في رحلة الوصول إلى الحق ،

أنك تحترم ذاته وتفكيره ، ولذا فأنت تعيش معه في مجال الصراع الفكري بهدوء واتزان .. وحينئذ لا تقف الكبرياء عقبة في هـذا السـبيل ، لأن الإنسان لا يشعر – في هذا الجو – بالاضطهاد ، وإنما يشعر – بدلا من ذلك – بالعزة والكرامة ، لأنه في سبيل كشف الحقيقـة ، وفي سـبيل الوصول إلى طريق أفضل ، دون أن يكون في البين مهزوم ومنتصر ، أو غالب ومغلوب ، وإنما هو الهدف المشترك والسبيل الواحد " ([1]) .

يقول الدكتور رؤف شلبي رحمه الله : " لا تحامل على المخالف : ولا ترذيل له ، ولا تقبيح لفكره ، وما دام يريد أن يصل إلى الحق ، فالمجادلة بـالتي هي أحسن صفة الكلمة التي ينبغي أن يستخدمها الداعية مع هذا اللـون من الناس .. ليس هدف الداعية الغلبة ولا المخاصـمة ، ولا الشـهرة بالتفلسف ، ولكن هدفه توصيل دعوة الله ، فإذا احتاج الداعيـة مـع صنف من الناس – إلى جدال – فليكن الجدال بـالتي هـي أحسـن : بالإقناع الموصل إلى الحق في قالب الكلمة الطيبة ، بعيدا عـن الحمـاس الشارد عن الحجة البيضاء ، وكثيرا ما يختلط على النفس البشرية قيمـة رأيها وقيمته عند الناس ، حتى ليصبح التنازل عن الرأي تنازلا عن الهيبة والكيان .

فحدد القرآن الكريم أسلوب التبليغ مع هذا الصنف " الجدل بالحسـنى " ، فإنه هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويشعر المجادل بأن ذاته مصونة ، وقيمته محفوظة ، وكرامته موقرة ، وأن ما يقصده الداعية مـن مجادلته هذه ، هو كشف الحقيقة في ذاتها ، والاهتداء إليها حسبة لله .. لا

[1]) أسلوب الدعوة في القرآن ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

ابتغاء نصر لرأيه وهزيمة لرأي الآخر " ([1]) .

– الدفع بالتي هي أحسن : يقول الدكتور رؤف شلبي رحمه الله : " وقد حرص القرآن الكريم كثيرا على الموعظة الحسنة كأسلوب ووصف للكلمة التي يتلفظ بها الداعية .

ومع قسوة العذاب والتنكيل التي شنها أعداء الدعوة في عهدها المكي ، كان القرآن – دائما – يحرص على الوصية بالموعظة الحسنة .

يقول الله تعالى : [وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] {فصِّلت:٣٤} .

فليس للداعية أن يرد بالسيئة ، إذ لا تستوي آثار السيئات وآثار الحسنات ، كما لا تستوي كذلك قيمة كل منهما ، فإن الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مواجهة الشر بمثله قد يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة ، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ، ومن الجماح إلى اللين ، وكم تصدق هذه القاعدة فينقلب الهياج إلى وداعة والغضب إلى سكينة والتبجح إلى حياء .

إن الكلمة الطيبة تبقى قاعدة وأسلوبا في تبليغ الدعوة : ترد بنبرتها الهادئة وبسمتها الحانية غاضبا متبجحا مفلوت الزمام .

فإن لم ترده هذه الكلمة الطيبة ، فقد بقي للدعوة أنها كانت – ولا تزال – تحب له الخير ، غير أنه هو الذي لا يريد لنفسه ذلك .

وبالموعظة الحسنة ، يظهر للدعاة أن هدفهم هو حب الخير للناس بهذا

---

[1]) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

الدين ، وحماية مستقبلهم في الدنيا والآخرة من الضنك والضياع ، ثم يظهر لمعارضي الدعوة أو معارضي الخير لأنفسهم سؤال : لم لا يرد الدعاة السيئة بمثلها وهم قادرون ؟

إن الذي يمنع الدعاة هو الأسلوب المفروض عليهم : [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] {فصِّلت:٣٤} .

وتلك الوظيفة تحتاج إلى سماحة تستعلي على دفعات الغيظ وشحنات الغضب ، وتحتاج قوة وتوازن بين الدفع بالتي هي أحسن وبين السماحة التي تستعلي على الآلام والغضب والغيظ .

وهي معادلة دقيقة وصعبة جدا ، ولكنها لازمة في تبليغ الدعوة ، حتى يستمر الداعية نشيطا ، تدفعه الحسنى في المعاملة إلى مزيد من العمل ، دون حساب لسيئات المناهضين للدعوة " ([1]) .

- شمول القول الحسن المؤمنين والكفار ، وهنا مسألة جديرة بالذكر وهي : هل القول الحسن يكون مع المؤمنين فقط أم يشملهم مع الكفار ؟

وقد أجاب الفخر الرازي رحمه الله عن هذه المسألة بقوله : " منهم من قال : إنما يجب القول الحسن مع المؤمنين أما مع الكفار والفساق فلا ، والدليل عليه وجهان : الأول أنه يجب لعنهم وذمهم والمحاربة معهم ، فكيف يمكن أن يكون القول معهم حسناً ، والثاني : قوله تعالى [لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوء مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ] (النساء ١٤٨) ، فأباح الجهر بالسوء لمن ظلم ، ثم إن القائلين بهذا القول منهم من زعم أن هذا

[1]) السابق ، ص ٢٨٥ .

الأمر صار منسوخاً بآية القتال ، ومنهم من قال : إنه دخله التخصيص ، وعلى هذا التقدير يحصل ههنا احتمالان أحدهما : أن يكون التخصيص واقعاً بحسب المخاطب ، وهو أن يكون المراد وقولوا للمؤمنين حسناً ، والثاني أن يقع بحسب المخاطب وهو أن يكون المراد قولوا للناس حسناً في الدعاء إلى الله تعالى وفي الأمر المعروف ، فعلى الوجه الأول يتطرق التخصيص إلى المخاطب دون الخطاب ، وعلى الثاني يتطرق إلى الخطاب دون المخاطب ، وزعم أبو جعفر محمد بن علي الباقر أن هذا العموم باق على ظاهره وأنه لا حاجة إلى التخصيص ، وهذا هو الأقوى ، والدليل عليه أن موسى وهرون مع جلال منصبهما أُمرا بالرفق واللين مع فرعون وكذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) مأمور بالرفق وترك الغلظة ، وكذلك قوله تعالى [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] (النحل ١٢٥) ، وقال تعالى [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ] (الأنعام ١٠٨) ، وقوله [وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً] (الفرقان ٧٢) ، وقوله [وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ] (الأعراف ١٩٩) ، أما الذي تمسكوا به أولاً من أنه يجب لعنهم وذمهم فلا يمكنهم القول الحسن معهم ، قلنا : أولاً : لا نسلم أنه يجب لعنهم وسبهم ، والدليل عليه قوله تعالى [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ] (الأنعام ١٠٨) ، سلمنا أنه يجب لعنهم لكن لا نسلم أن اللعن ليس قولاً حسناً بيانه أن القول الحسن ليس عبارة عن القول الذي يشتهونه ويحبونه بل القول الحسن هو الذي يحصل انتفاعهم به ، ونحن إذا لعناهم وذممناهم ليرتدعوا به عن الفعل القبيح كان ذلك المعنى نافعاً في

حقهم ، فكان ذلك اللعن قولاً حسناً ونافعاً كما أن تغليظ الوالد في القول قد يكون حسناً ونافعاً من حيث إنه يرتدع به عن الفعل القبيح ، سلمنا أن لعنهم ليس قولاً حسناً ولكن لا نسلم أن وجوبه ينافي وجوب القول الحسن ، بيانه أنه لا منافاة بين كون الشخص مستحقاً للتعظيم بسبب إحسانه إلينا ومستحقاً للتحقير بسبب كفره وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يكون وجوب القول الحسن معهم .

وأما الذي تمسكوا به ثانياً وهو قوله تعالى [لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوء مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ] (النساء ١٤٨) فالجواب : لم لا يجوز أن يكون المراد منه كشف حال الظالم ليحترز الناس عنه وهو المراد بقوله (صلى الله عليه وسلم) (اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس) " ([1]) .

- شمول القول الحسن والأحسن لأمور الدين والدنيا : يقول الفخر الرازي رحمه الله : " قال أهل التحقيق : كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية ، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار ، أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق ، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون [فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] (طه ٤٤) ، أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى ، وقال لمحمد (صلى الله عليه وسلم) [وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ] (آل عمران ١٥٩) الآية ، وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر ، قال تعالى [ادْعُ

[1]) مفاتيح الغيب ، ٣ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] (النحل ١٢٥) ، وقال [ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ] (فصلت ٣٤) .

وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى [وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا] " ([1]) .

وبهذا ينتهي الحديث عن القول الحسن والأحسن وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى ، وبانتهاء الحديث عنهما تنتهي هذه الدراسة .

ولا يفوتني في نهاية هذه الدراسة أن أدعو الله – تبارك وتعالى – بأن يوفقني – في بحث آخر – للحديث عن القول الموصوف (المنهي عنه) في القرآن الكريم وأثاره السلبية على الدعوة الإسلامية ، وذلك من حيث الحديث عن خطورة وقوع الداعية فيه ، وارتكابه ما نهى الله عز وجل عنه من الأقوال ، مثل : قول الكذب ، والزور ، والمنكر ، والقول على الله بغير علم ، فإن ذلك له آثاره السلبية الكثيرة على الدعوة الإسلامية ، والله المستعان .

---

[1]) السابق ، ٣ / ١٥٤ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم سبحان من أنزله

(١) أسلوب الدعوة في القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك – بيروت – ط السادسة ١٤١٨هـ.

(٢) أصول الدعوة ، د عبد الكريم زيدان ، دار البيان ، ط الثالثة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

(٣) أصول الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي محمد ، (بحث غير منشور) .

(٤) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، مكتبة المعارف – بيروت .

(٥) تاج العروس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، بدون .

(٦) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس – ط الأولى ١٩٨٤م .

(٧) تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – ط الثامنة ١٣٠٨هـ – ١٩٨٧م .

(٨) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المحقق : مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة + مكتبة

أولاد الشيخ للتراث – الجيزة – ط الأولى ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

(٩) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م .

(١٠) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت – الأولى ، ١٤١٠هـ .

(١١) الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، الشيخ محمد أبو زهرة ، مطبعة العلوم – القاهرة – ط الأولى ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م .

(١٢) الخطابة في العصر الإسلامي ، فوزية عباس خان ، بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير – جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، إشراف الدكتور / محمد نبيه حجاب ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(١٣) الخطابة في موكب الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي محمد ، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط الثانية ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م

(١٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، د أحمد أحمد غلوش ، ١٥٢ ، دار الكتاب المصري – القاهرة – ، ط الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

(١٥) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها ، الدكتور رؤف

شلبي ، مطبعة الفجر الجديد – القاهرة – بدون .

(١٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون .

(١٧) سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٨ م .

(١٨) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

(١٩) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا – إبراهيم الإبياري – عبد الحفيظ شلبي ، بدون .

(٢٠) شرح السنة ، الإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق ـــ بيروت ـــ ط الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(٢١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٤٠٧ ١٩٨٧٥ م .

(٢٢) صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

(٢٣) صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

(٢٤) صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢٥) صفة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق : محمود فاخوري – د محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩ هـ .

(٢٧) فصول في الدعوة والإصلاح ، الشيخ علي الطنطاوي ، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية ، دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة – ط الأولى ٢٠٠٨م .

(٢٨) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

(٢٩) فن الخطابة وإعداد الخطيب ، الشيخ علي محفوظ ، دار الاعتصام ، بدون .

(٣٠) الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

(٣١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت – ط الأولى ، بدون .

(٣٢) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

(٣٣) مبادئ في الأدب والدعوة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق – ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣٤) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣٥) المدخل إلى علم الدعوة ، د محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٣٦) المسند ، أحمد بن حنبل ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٣٧) مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، الشيخ محمد الغزالي ، نهضة مصر ، ط السادسة ٢٠٠٥م .

(٣٨) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة .

(٣٩) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

(٤٠) مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، دار إحياء التراث العربي ، بدون .

(٤١) المفردات ، المفردات في غريب القرآن ، أبو الحسين بن محمد

المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٤٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الثانية ، ١٣٩٢هـ.

(٤٣) نحو تأصيل علمي لمصطلحات علوم الدعوة الإسلامية ، د إسماعيل علي ، بحث غير منشور .

(٤٤) هداية المرشدين ، الشيخ علي محفوظ ، ط دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م٠

(٤٥) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، الشيخ علي محفوظ ، دار الاعتصام – القاهرة – ط التاسعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .